

أرسيث لوبيث

اللولؤة السوداء



مغامرات " ارسين لوبين "

ذو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة . وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم . والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوليسية التي تصور الجريمة وتحلل وتكشف عن مرتكبيها .

تعد الروايات البوليسية التي تحمل اسم البطل (ارسين لوبين) أعظم الروايات البوليسية في مطلع هذا القرن والتي كتبها الكاتب الفرنسي "موريس بلان" وقد لاقت إقبلاً عظيماً من القراء وخاصة المهتمين بدراسة الجريمة وتحليل دوافعها وإحاطة اللثام عن مرتكبيها وتقديمهم للمحاكمة لينالوا الجزاء الرادع . لذلك احتلت رواياته وقصصه مكانة مرموقة في عالم القصة البوليسية .

وهذا البطل (ارسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته الى الثراء وكسب المال او للثأر والانتقام من خصومه . وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة .
إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس .
وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصهم بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء والصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان .

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة .
فلا عجب إن احتلت رواياته مكانة عظيمة في قلوب جميع القراء في كل أنحاء العالم .

برنارد الأسطه
يقدم

الرواية المعربة

اللؤلؤة السوداء

(٦٣)

رواية بوليسية طريفة بطلها اللص الظريف "أرسين لوين"

الناشر

دارميوزيك

للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
ص.ب. 374 جونية - لبنان

تلفون : 00 961 9 262 939

فاكس : 00 961 9 260 401

جميع الحقوق محفوظة للناشر

يمنع منعاً باتاً نقل أي جزء أو قسم من هذا الكتاب
وبأية وسيلة إلا بعد الحصول على موافقة خطية من الناشر .

المحامي

ما كاد "جان باربيه" يثب من القطار في محطة "روين" حتى وجد المفتش "جانيمار" في انتظاره ..

كان "باربيه" رجلا طويل القامة ، ذا شارب قصير ، يرتدي دائما معطفا طويلا احال الزمن سواد لونه إلى خضرة .. وكان هذا المعطف الذي لا يفارق منكبي المحامي "باربيه" مصدرا دائما لهُزءٍ إخوانه المحامين وسخريتهم .. وكثيرا ما كان شباب المحامين يتراهنون فيما بينهم على الموعد الذي يحيل فيه "باربيه" معطفه إلى المعاش فكان الفوز بالرهان يقع دائما من نصيب المتشائمين ، الذين طالما قالوا على سبيل الهُزءِ والسخرية إن "باربيه" متعاقد مع معطفه على الا يفرق بينهما غير الفناء ..

وكان "جانيمار" قد عرف المحامي "باربيه" في بعض القضايا التي قام بتحقيقها بصفته مفتش بوليس .. واشترك معه "باربيه" في تحقيقها بصفته محاميا متطوعا لخدمة الجاني او المجني عليه .. وقد اظهر "باربيه" في جميع المناسبات من الذكاء والحكمة والدهاء ما جعل "جانيمار" يعتمد في كثير من الاحيان على سداد رايه وبعد نظره وتحليله الصحيح للقضايا التي يحوطها الغموض .

بيد أن شيئا واحدا كان يثير دهشة "جانيمار" وريبته في امر المحامي "باربيه" .. وذلك هو الطريقة التي كان المحامي يخدم بها عملاءه .

لم يكن "باربيه" يقتضي من عملائه اجرا على الإطلاق ، بل كان دائما يعمل متطوعا ويصرح بانه لا يبغي غير إحقاق الحق ، وبانه يقدم خدماته مجانا لكل من يطلبها ويحتاج إليها ..

غير أن "جانيمار" كان يشعر شعورا مبهما بان له "باربيه" طريقة معينة في الحصول على أجره بوسائل غامضة كوسائله في حل المعميات ، وإماطة اللثام عن اسرار القضايا المعقدة ، وأن بعض هذه

الوسائل مما لا يقره القانون .. ولكنه حاول - عبثا - ان يوقفه موقفا حرجا ، لأن 'باربيه' كان يجد دائما مبررا مشروعا لوسائله غير المشروعة .

اسرع 'جانيمار' إذن إلى صديقه 'باربيه' وشد على يده .. وقال له بغير مقدمات :

- يجب الا نضيع لحظة واحدة.. فقد يتحرج الموقف بين دقيقة واخرى ..

فقال 'باربيه' وهو يبتسم :

- ربما كان الموقف اخرج مما تظن .. ومهما يكن من امر فإنني لا اعرف عنه شيئا .. لقد تلقيت برقيتك فجئت في الحال بدون ان اعرف لماذا دعوتني .

فقال مفتش البوليس :

- هكذا اردت الا تعرف شيئا قبل ان اراك ..

- اما زلت ترتاب في يا 'جانيمار' ؟

- إنني ارتاب فيك دائما يا 'باربيه' .. وارتاب بالاكتر في الوسائل التي تصفي بها حسابك مع عملائك .. وعلى كل حال فإنني اردت هذه المرة الا اترك لك فرصة للتفكير والتدبير ، وسأنتهي إليك التفاصيل في الوقت المناسب .. لأرى الطريقة التي سيفتق عنها ذهنك في التو واللحظة .

فابتسم 'باربيه' .. ونظر إليه 'جانيمار' من طرف عينه نظرة من يريد ان يقول : ليتني استطيع الاستغناء عن خدماتك ، والتخلص من معونتك !

ولما خرجا من بناء المحطة .. قصد 'جانيمار' بصاحبه إلى سيارة فخمة كانت في الانتظار .. وفتح السائق باب السيارة ، فرأى 'باربيه' بداخلها سيدة في مقتبل العمر على جانب كبير من الجمال ، تبدو على وجهها النبيل امارات الحزن والقلق .. ويزيد الشحوب سحنها جمالا ونبلا ..

قال 'جانيمار' يقدم صديقه إلى السيدة :

- اسمحي لي يا سيدي بان أقدم إليك صديقي المحامي 'جان باربيه'

الذي قلت لك عنه إنه الرجل الوحيد الذي يستطيع إنقاذ الموقف .
ثم التفت إلى "باربيه" وقال :

- أقدم إليك مدام "فوجريه" .. زوجة المهندس "فوجريه" .. الذي توشك
الظروف السيئة أن توقفه موقف الاتهام في جريمة مفرقة .
- إنها جريمة .. قتل ؟
- جريمة قتل !
- هذا بديع .

فانكمش "جانيمار" لفساد نوق صاحبه .. وقال محدثا السيدة :
- عفوا يا سيدتي .. أرجو المعذرة عن هذا التعبير السقيم ، فإن
صديقي لا يسره شيء كان يجد نفسه أمام قضية خطيرة .. وجريمة
غامضة ..

وركب الرجلان السيارة بجانب مدام "فوجريه" ، فانطلقت بهم تسابق
الريح .. وعرجت مرة إلى اليمين وأخرى إلى اليسار ، ووقفت أخيرا
أمام منزل كبير .. وعندئذ هبط الثلاثة من السيارة وأشار "جانيمار"
إلى الطابق الثالث من ذلك المنزل .. وقال محدثا "باربيه" :

- إن الطابق الثالث من هذا المنزل هو مقر "النادي النورمندي" وهو
المنتدى الذي يختلف إليه كبار التجار وأصحاب المصانع في "روين"
وضواحيها ، للتحدث في شؤونهم العملية ولقراءة الصحف ولعب
الورق .

وأعضاء المنتدى يكتمل عددهم في الغالب في يوم الجمعة من كل
أسبوع ، وهو اليوم الذي تفتح فيه بورصة "روين" . ولما كان ينذر
وجود أحد الأعضاء في المنتدى قبل الظهر ، فإننا نستطيع انتهاء
الفرصة الآن لشهود المكان الذي وقعت فيه الجريمة .. والتحدث في
ظروفها من كتب ..

وصعدوا السلم .. وطرق "جانيمار" باب الطابق الثالث ، ففتحه خادم
متقدم في السن .. ما كاد يرى مفتش البوليس حتى أفسح له ولزميليه
السبيل ..

ومر الثلاثة بأربع غرف مؤنثة بأفخم الأثاث .. وانتهوا إلى قاعة
صغيرة لها باب يؤدي إلى مقصورة تطل على ضفة نهر السين ..

جلس ثلاثتهم في تلك القاعة .. وراح "جانيمار" يوضح الموقف فقال:
- حدث في يوم الجمعة منذ بضعة اسابيع ان اربعة من اعضاء هذا
المنتدى جاؤوا إلى هنا .. وتناولوا طعام العشاء معا .. ثم شرعوا
يلعبون "البوكر".

كانت تربط بينهم روابط الصداقة .. وجميعهم من اصحاب مصانع
النسيج في "ماروم" بضواحي "روين" .. وقد اشتهرت "ماروم" - كما
تعلم - بمصانع نسيج الحرير .

كان ثلاثة من هؤلاء الاصدقاء الاربعة متزوجين ولهم اولاد .
واولئك الثلاثة هم : "الفريد اوفار" و"راؤول دويان" و"لويس باتينييه".
اما الرابع فشاب عذب في مقتبل العمر يدعى "مكسيم تويلييه".
وحول منتصف الليل .. انضم إلى هؤلاء الاربعة شاب آخر من
اغنياء الناحية يدعى "بول ايرستائين" ..

وكان اعضاء المنتدى قد بدعوا ينصرفون الواحد منهم في إثر
الآخر.. وجاء وقت لم يبق فيه بالمنتدى غير اصحابنا الخمسة الذين
نكرتهم .

كانوا قد بدعوا يلعبون الورق في هدوء .. ثم حمي وطيئ اللعب بعد
ان طلب "بول ايرستائين" ثلاث زجاجات من الشراب ..

وهنا اشار "جانيمار" إلى طاولة في وسط القاعة واستطرد :

- كانوا يلعبون الورق حول هذه الطاولة .. ومن العجب ان "بول
ايرستائين" ما كاد يقدم لزملائه الشراب حتى بدا الحظ يحالفه .. كان
حظه عجبيا في تلك الليلة .. وكأنه كان على اتفاق مع ورق اللعب ..
كانت تقع من نصيبه دائما الورقة التي هو بحاجة إليها لكي يجرف
جميع الأوراق المالية التي على المائدة ويضعها امامه ..

ربح .. وربح .. واشتد الحنق بزملائه فجازفوا في اللعب وضاعفوا
المبالغ التي كانوا يقامرون عليها .. ولكن بغير جدوى .

وفي حوالي الساعة الرابعة صباحا .. كان اصحابنا الاربعة قد
اضاعوا جميع النقود التي سحبوها من البنوك في ذلك اليوم .
ليدفعوا منها أجور العمال في مصانعهم .. ونهبت جميع هذه الأموال
إلى جيب "بول ايرستائين" .

واكثر من ذلك ان مكسيم تويلييه خسّر كل ما معه . وخسر كذلك ثمانين الف فرنك وعد بشرفه ان يدفعها لـ "بول ايرستايين" في اليوم التالي ..

وهنا صمت المفتش "جانيمار" لحظة ثم استطرد :

- وقد كان في وسع "بول ايرستايين" ان يفوز بغنيمة وينطلق بربحه، ويترك اصدقاءه يندبون سوء حظهم .. بيد انه كان شابا رضي الخلق ، ثم انه كان فضلا عن ذلك على جانب عظيم من الغنى .. فاراد ان يبرهن لاصحابه على انه إنما قامر بقصد التسلية لا بقصد الربح ، فرد ارباحه إلى اصحابها .. واتفق معهم على استئناف اللعب ، فإما ان يستردوا اموالهم نهائيا .. وإما ان تتضاعف خسارتهم .

ومن عجيب المصادفات ان الحظ الذي لازمه طيلة تلك الليلة قلب له ظهر المجن فجأة ، فخسر جميع ارباحه .. وانتهت الليلة بالتعادل ، فلا خاسر بين الاصدقاء ولا رابح .

ولما خسّر "بول ايرستايين" جميع ارباحه نهض عن مائدة الميسر وهو يقول :

- يسرني انكم استطعتم استرداد اموالكم .. والواقع انني كنت اشعر بشيء من الخجل حتى كانني سلبتكم نقودكم .. ولكن يا إلهي .. ما هذا الصداق الذي اشعر به .. الا يريد احداكم ان يدخن لفافة تبغ في المقصورة ؟

وترك اصحابه وانطلق إلى المقصورة .. وبقي الاصدقاء الاربعة حول المائدة لتسوية الحساب فيما بينهم ، وهم مسرورون لاستردادهم اموالهم .. ثم قرروا الرحيل أخيرا ، فنهضوا واجتازوا الغرف الثلاث .. ووجدوا "جوزيف" العجوز خادم المنتدى يغط في نومه في احد المقاعد .. فقال له احدهم :

- لا تغلق الابواب يا "جوزيف" ، فإن مسيو "بول ايرستايين" لا يزال في المقصورة .. ولكنه لن يبطئ في الرحيل ..

ثم انصرفوا .. وكان انصرفهم في الساعة الرابعة والدقيقة ٣٥ تماما ، وركبوا سيارة احدهم - وهو "الفريد أوفار" - فانطلقت بهم إلى "ماروم".

اما 'جوزيف' خادم المنتدى فإنه انتظر نصف الساعة ثم ساعة ..
واخيرا استولى عليه السام ، فذهب للبحث عن 'بول ايرستين' في
المقصورة .. فوجده على الأرض هناك وهو جثة هامدة .

وصمت 'جانيمار' مرة أخرى .. واطرقت 'مدام فوجريه' براسها ..
قال 'باربيه' محدثا 'جانيمار' :

- هلم بنا نفحص المقصورة ..

وأجال 'باربيه' الطرف في انحاء المقصورة التي تطل على ضفة نهر
السين .. ثم سال :

- وممن عرفت كل هذه التفصيلات ؟

- من أقوال الأصدقاء الأربعة الذين لعبوا مع 'بول ايرستين' ..

- الا يحتمل ان يكونوا قد اخطئوا في شيء ؟

- نعم .. فقد اتفقت اقوالهم جميعا ، وهم فضلا عن ذلك من كبار
أصحاب المصانع ، ولهم سمعة حسنة .. وجميعهم معروفون بالرزانة ،
وليسوا ممن يرسلون الكلام على عواهنه .

- حسنا .. والآن قل واوجز .. إلى أية نتيجة انتهى التحقيق ؟

فاجاب 'جانيمار' :

- لقد أسفر التحقيق عن ان 'بول ايرستين' أصيب في جمجمته
بضربة شديدة من أداة ثقيلة صرعته في الحال وقتلته بدون ان يتمكن
من الاستغاثة أو الدفاع عن نفسه .

ولعل أهم اثر عثر عليه المحققون ، هو ساعة القتل ، فقد تحطمت
هذه الساعة عند سقوط القتيل على الأرض ، ووقفت عقاربها على
الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين .. وهذا يدل على ان
الجريمة ارتكبت بعد عشرين دقيقة من انصراف الأصدقاء الأربعة ..
كذلك لم يقع المحققون على ما يثبت ان الجريمة ارتكبت بقصد السرقة ،
فقد وجدت مع القتيل حافظة نقوده وأوراقه وخاتمه .. ولم يكن هناك
شك في ان القاتل جاء من الخارج ، لأن الخادم 'جوزيف' لم ير احدا
يدخل بعد انصراف الأصدقاء الأربعة .

فسال 'باربيه' :

- ألم يجد المحققون أي اثر للقاتل ؟

فتردد "جانيمار" لحظة ثم قال :

- بلى .. إنهم وجدوا أخيرا اثرا مهما .. فقد لغت احد رجال بوليس "روين" نظر قاضي التحقيق إلى قرب المسافة بين هذه المقصورة ومقصورة الطابق الثالث من المنزل المجاور ، فانتقل القاضي هو والمحققون إلى المنزل المجاور .. ودخلوا الطابق الثالث الذي يقيم فيه المهندس "فوجريه" هو وزوجته ..

وكان المهندس قد غادر بيته في الصباح ، فذهبت مدام "فوجريه" بالمحققين إلى غرفة زوجها .. وهناك لاحظ المحققون انه ليس من المتعذر الوثوب من مقصورة غرفة الزوج إلى المقصورة التي ارتكبت فيها الجريمة .

- انظر يا "باربيه" ..

فارسل "باربيه" بصره إلى مقصورة المنزل المجاور .. وقال :

- هذا صحيح .. فالمسافة بين المقصورتين لا تتجاوز مترا وعشرين سنتيمترا ومن السهل جدا اجتيازها ..
فقال "جانيمار" :

- نعم .. والآن .. انظر إلى مقصورة بيت المهندس .. إن بها طائفة من أنية الأزهار ، وقد ذبلت الأزهار في هذه الأنية منذ مدة .. ولكن المحققين لاحظوا أن الطين في أحدها قد نبش حديثا ، فبحثوا فيه .. ووجدوا به قطعة مستديرة من الحديد كالتي يستخدمها الأشقياء الأمريكيون في البطش بخصومهم . وقد قرر الطبيب الشرعي أن الإصابة التي بجمجمة القتيل حدثت بضربة من أداة حديدية ثقيلة .. كتلك القطعة الحديدية التي وجبت مخابأة في إناء الأزهار .

ولم يسفر البحث والفحص عن وجود بصمات إصابع على قطعة الحديد .. ولعل السبب في ذلك أن الأمطار هطلت بغزارة في صباح اليوم التالي لوقوع الجريمة ، فأزال ماء المطر كل أثر لبصمات الأصابع .

وقد اتجهت ريبة المحققين في الحال إلى المهندس "فوجريه" ، وكان من رأيهم انه رأى "بول ايرستين" في مقصورة المنتدى وعرفه تحت ضوء المصباح الكهربائي الذي يضئ تلك المقصورة .. فوثب عليه من

مقصورة غرفته ، وفك به .. ثم عاد إلى مقصورته من جديد ، وأخفى
قطعة الحديد في إناء الأزهار ..
فسال "باربيه" :

- ولكن لماذا ارتكب المهندس هذه الجريمة ؟ هل كانت له معرفة

بـ "بول إيرستين" ؟

- لا ..

- إذن ؟ ..

فلم يجب "جانيمار" .. بل أشار بأصبعه نحو مدام "فوجريه" ..
وكانت هذه تصغي بانتباه إلى حديثهما ، فاقتربت منهما وقالت
تحدث "باربيه" بصوت مرتجف :

- إن في استطاعتي الإجابة عن سؤالك هذا يا سيدي وساجيب في
كلمات قليلة .. وبصراحة تامة .. فتفهم سبب قلقي وانزعاجي ..

إن زوجي لم يكن يعرف "بول إيرستين" .. أما أنا فكنت أعرفه ، وقد
قابلته مرارا في باريس عند إحدى صديقاتي فراح يحاول التقرب مني
ومغازلتي ، ولكنني أحب زوجي وأعرف واجباتي كزوجة .. ولهذا لم
يجد "بول إيرستين" من ناحيتي أي تشجيع .. كل ما هنالك أنني قبلت
صداقته وحرصت على ألا تتعدى الصلة بيننا مجرد الصداقة البريئة
وقد واعدني مرارا .. وكنا نتقابل في بعض الأحيان في الضواحي ..
- وهل بعثت إليه برسائل ؟

- نعم كتبت إليه أكثر من مرة لأرده إلى سواء السبيل وأشعره بأنه
يجب ألا ينتظر مني أكثر من مجرد الصداقة ..

- وهل وقعت رسائلك بين أيدي أسرته ؟

- نعم .. إنها وقعت في يد والده .. ولابد أن الرجل راح ينبش أوراق
ولده بعد مصرعه ، باحثا عما يثبت وجود عداوة بينه وبين آخرين .

- وهل هددك والد الشاب - وهو يريد بالتأكيد أن يثار لولده - بأن
يضع رسائلك بين أيدي المحققين ؟

- نعم .. وليس يهمني أن تذاع حقيقة العلاقة بيني وبين الشاب
القتيل ، فجميع رسائلي إليه تدل على أنها كانت علاقة بريئة لا
تشوبها أية شائبة .. بيد أن زوجي لا يعرف بوجود هذه العلاقة ، ولا

يعرف أنني كنت أقابل "بول إيرستايين" .. ولست أريده الآن أن يعرف شيئاً من ذلك .. أضيف إلى هذا أن بعض رسائلي إلى القتل تتضمن عبارات قد تتخذ دليلاً ضد زوجي .. من ذلك أنني قلت له في إحدى رسائلي : "أتوسل إليك أن تكون حكيماً يا "بول" ، لأن زوجي شديد الغيرة وشديد العنف .. وإذا علم بوجود صلة بيننا من أي نوع فإنه لا يحجم عن أي عمل" . فهذه العبارات وأمثالها قد يتخذها المحقق سلاحاً ضد زوجي وهي في الحق سلاح مخيف .. لأن المحقق سوف يعتقد أن الغيرة هي الدافع إلى الجريمة .. ومتى أضفنا إلى ذلك دليل وجود قطعة الحديد في مقصورة زوجي أصبح من المتعذر بل أصبح من المستحيل دفع التهمة عن زوجي المسكين .

فسألها "باربيه" :

- ولكن أنت يا سيدتي .. هل أنت واثقة بأن زوجك لم يداخله شك في وجود صلة بينك وبين القتيل ؟
- إنني واثقة بذلك تمام الوثوق .
- وهل تعتقدين أنه بريء ؟
فاجابت بحدة :
- إنني لا أشك في براءته .

وهنا تفرس "باربيه" في عينيها الساحرتين الحزينتين ، وشعر في الحال بمثل ما شعر به "جانيمار" من قبل .. وهو أن تلك المرأة الحسنة لم تذكر غير الحقيقة . وانها - رغم الظروف والأدلة وراي المحققين - تعتقد اعتقاداً راسخاً في براءة زوجها .
وقد ألقى "باربيه" على "جانيمار" ومدام "فوجريه" طائفة من الأسئلة .
وفكر طويلاً .. ثم قال أخيراً :

- ليس في استطاعتي يا سيدتي أن أجعلك تعللين النفس بالأمال .. فمركز زوجك في القضية سيئ جداً .. وجميع الأدلة ضده .. ومع ذلك فسأحاول تخطيط الأدلة .

فقالت مدام فوجريه متوسلة :

- أنني أرجوك يا سيدي أن تقابل زوجي .. ومتى سمعت أقواله .. فإنك لن تشك لحظة في براءته .

- فاجاب "باربيه" :

- لا فائدة من ذلك يا سيدتي .. إن عملي سيقوم على أساس اعتقادك في براءة زوجك .. نعم سافترض عدم وجود زوجك .. وأقوم بتحقيق القضية على هذا الاعتبار .

وهكذا انتهت المقابلة .. وبدأ "باربيه" عمله في الحال . ذهب برفقة "جانيمار" إلى والد الشاب القتيل ، وقال له في صراحة ... وبغير لف او دوران :

- يا مسيو "ايرستايين" .. لقد كلفني مدام "فوجريه" بالدفاع عنها وعن زوجها .. فهل لا يزال في نيتك أن تضع بين أيدي المحققين رسائل هذه السيدة إلى ولدك ؟

فاجاب الرجل :

- سأقدمها إلى المحققين اليوم بالذات .

- إنك إذا فعلت قضيت على سمعة المرأة التي احبها ولدك كما لم يحب امرأة سواها ..

- ذلك من دواعي أسفي .. ولكن زوج هذه المرأة قد قتل ولدي .. ويجب أن اثار للقتيل .

- إنني أرجوك التريث خمسة أيام فقط يا سيدي .. واعدك بأن اميط اللثام عن القاتل في يوم الثلاثاء المقبل ..

وقد قضى "باربيه" هذه الأيام الخمسة في أعمال أوقعت اليأس في قلب "جانيمار" .. وقام بتحقيق كان من رأي هذا الأخير أنه لا فائدة منه .. وانفق خلال ذلك كثيرا من النقود .

وفي صباح يوم الثلاثاء .. قابل "باربيه" مدام "فوجريه" ، وقال لها :
- لقد اتفق "جانيمار" مع المحققين على إعادة تصوير الجريمة وتمثيلها في ذات المكان الذي وقعت فيه . وسوف يدعوك المحققون أنت وزوجك لحضور التمثيل في المنتدى فارجوك أن تلتزمي جانب الهدوء التام وأن يكون موقفك موقف شخص يشهد رواية تمثل على المسرح ، وليست له أية صلة بواحد من أبطالها .

فغمغمت :

- هل هناك أمل ؟

فاجاب :

- لا اعلم .. لقد قلت لك انني ساعمل على اساس اعتقادك الشخصي في براءة زوجك .. وساحاول اثبات هذه البراءة بإبراز نظرية جديدة .. ربما وإن كنت اعتقد انني وضعت اصبعي على الحقيقة .. إلا انني أخشى ان يظهر في آخر لحظة ما يهدم اعتقادي .. ويقلب نظريتي رأسا على عقب .

وكان قاضي التحقيق ووكيل النيابة اللذان قاما بتحقيق القضية معروفين بالحكمة والرزانة وبأنهما لا يتأثران بالمظاهر الجوفاء . فقال "جانيمار" محدثا "باربيه" :

- يجب ان أحذرك سلفا بأنهما ممن لا يجوز عليهم التهويش والدجل .. وقد عاملانا بمنتهى الكرم وافسحا لنا السبيل ، وتركنا لنا حرية العمل .. فحذار ان تحاول الهزء بهما او السخرية منهما . فقال "باربيه" :

- يا عزيزي المفتش "جانيمار" .. انني لا اسخر من المحققين إلا عندما اكون على يقين من الفوز .. وانا اليوم لست على يقين من شيء . امتلات غرف "المنتدى النورمندي" بالمحققين ورجال البوليس .. وابطال الماساة ..

وكان قاضي التحقيق قد طلب إلى الاصدقاء الاربعة الذين قاموا مع "بول ايرستائين" ليلة مصرعه ان يحضروا إلى المنتدى لإعادة تمثيل الماساة .. فرأى "باربيه" هؤلاء الاربعة وهم يروحون ويجيئون في غرف المنتدى بقلق . ورأى والد القتل واقفا وقفة المتفرج .. وهو ينظر إلى المهندس "فوجريه" بين الفينة والفينة نظرات تدل على غيظه وحنقه . اما مدام "فوجريه" فإنها جلست في احد الأركان ولزمت جانب السكون والهدوء كما أمرها بذلك "باربيه" .

قال قاضي التحقيق محدثا الاصدقاء الاربعة :

- لقد رأينا ايها السادة أن من مصلحة التحقيق إعادة تمثيل الجريمة في مكان وقوعها . ولهذا أرجو أن تجلسوا حول مائدة اللعب كما كنتم تجلسون في ليلة الجمعة . وسيجلس المفتش "جانيمار" في ذات المكان الذي كان يجلس فيه "بول ايرستائين" .. هل طلبت إلى هؤلاء

السادة يا مسيو "جانيمار" ان ياتوا معهم باوراق مالية بالعدد الذي كان معهم ليلة الجريمة ؟ .

فاطرق "جانيمار" براسه علامة الإيجاب . ثم جلس على أحد المقاعد . وجلس "الفريد اوفار" و"راول دويان" عن يساره ولويس باتينيه" و"مكسيم تويلييه" عن يمينه .. وجاءهم "جوزيف" باوراق اللعب .. وبدأ اللعب .

ولم تمض بضع دقائق حتى لاحظ المحققون ظاهرة عجيبة .. راوا ان الحظ يحالف "جانيمار" كما حالف "بول ايرستايين" في ليلة الماساة ، فاخذ "جانيمار" يربح ويربح . وال حظ يواتيه بكل ورقة يحتاج إليها لتكديس اموال الآخرين امامه ..

حالفه الحظ بعناد وإصرار عجيبين وجاء التمثيل صورة تماثل الحقيقة تماما .. حتى خيل للاعبين الأربعة ان ليلة الماساة قد عانت بسحر ساحر عظيم ..

وقد بلغ من انزعاج "مكسيم تويلييه" لهذه الظاهرة العجيبة انه اضطرب وراح يخطئ في اللعب .. فطلب إليه المحامي "باربيه" ان ينهض .. وجلس هو مكانه .

واستمر اللعب .. واستمر "جانيمار" يكس الأوراق امامه .. فلما انقضت عشر دقائق .. كان "جانيمار" قد كس امامه جميع الأوراق المالية .

وحدث له "باربيه" - الذي كان يقوم بدور "مكسيم تويلييه" - ما حدث لهذا الأخير في ليلة الماساة . إذ خسر كذلك ثمانين ألف فرنك .. أصبحت ديناً عليه له "جانيمار" الذي كان يقوم بدور "بول ايرستايين" .. ولما كس "جانيمار" اموال اللاعبين امامه .. فعل ما فعله "بول ايرستايين" من قبل : فقسم أرباحه إلى أربعة أقسام . قدم إلى كل لاعب قسماً منها . وبدأت الحلقة الثانية من اللعب .. فإما أن يسترد اللاعبون الأربعة اموالهم .. وإما أن تتضاعف خسارتهم .

وبدا اللعب من جديد .. كما حدث تماماً في ليلة الماساة ولكن بدلا من ان يخسر "جانيمار" أرباحه .. كما خسر "بول ايرستايين" في ليلة

الجريمة .. أخذ هو يربح من جديد .
استولت الدهشة على المحققين .. إذ وجدوا أنفسهم في حالة جديدة
غير تلك التي كانت في ليلة الماساة .
فقد حدث في ليلة الماساة أن خسر "بول ايرستين" أرباحه .. أما
الآن .. فإن "جانيمار" ، الذي يقوم حول مائدة اللعب بدور "بول
ايرستين" قد استمر يربح .
تري .. هل يبر "جانيمار" و"باربيه" هذا الاختلاف لإظهار ما وقع في
ليلة الماساة على حقيقتها ؟
وأخيرا نهض "جانيمار" بعد أن ربح للمرة الثانية أموال اللاعبين
الأربعة ..
نهض واقفا .. ووضع رزم الأوراق المالية في جيبه .. وفعل ما فعله
"بول ايرستين" من قبل .. إذ شكوا من صدادع شديد .. وقصد إلى
المقصورة وهو يشعل لفافة تبغ .
وبقي اللاعبون الأربعة حول مائدة اللعب . وقد ارتسمت على
وجوههم علامات الحيرة والقلق ..
وأخيرا نهض المحامي "باربيه" .. الذي كان يقوم حول مائدة اللعب
بدور "مكسيم تويلييه" .
نهض واقفا .. وبهش القوم اشد الدهشة حين راوا سحنته تنقلب
انقلاب سحنة "مكسيم تويلييه" .
كان هذا الأخير شابا عليلا محني الظهر قليلا .. يضع على عينيه
نظارة ذات إطار من ذهب ..
أصبح المحامي "باربيه" بأسرع من لمح البصر صورة خية لـ "مكسيم
تويلييه" . فراه القوم شابا عليلا محني الظهر .. على عينيه نظارة ذات
إطار من ذهب ..
نهض "باربيه" وهو منقلب السحنة ، وقصد إلى المقصورة في إثر
غريمه الرابع .
كانت على وجهه علامات القسوة .. حتى ليخيل إلى الناظر إليه أنه
لا يحجم عن أي عمل من أعمال البطش .
لم ير اللاعبون الآخرون وجهه .. بل راه المحققون .. فنسوا أنهم

امام ممثل بارع يمثل دور 'مكسيم تويلييه' . وجرت خواطرهم إلى 'مكسيم تويلييه' الحقيقي في ليلة المأساة .. 'مكسيم تويلييه' الذي خسر كل ما معه ، وأكثر مما معه .. تصوره في ليلة المأساة وهو يخرج إلى المقصورة في إثر 'بول ايرستين' الذي تكسدت الأوراق المالية في جيوبه .

ترى لماذا خرج في إثره ؟

كانت سحنه المنقلبة لا تدل على شيء مما يعتمل في نفسه .

ترى هل خرج في إثره ليرجوه ويتوسل إليه .. أو خرج في إثره ليأمره ويهدده ؟

حبس القوم أنفاسهم في انتظار النتيجة .

راوا 'مكسيم تويلييه' يخرج من المقصورة ويغلق الباب وراءه ويغيب عن أبصارهم .

ثم راوا اللاعبين الثلاثة الذين ظلوا حول المائدة ينظرون في قلق إلى الباب الذي وقع خلفه ما وقع ليلة الجريمة .

وبعد دقائق عاد 'مكسيم تويلييه' من المقصورة فإذا هو شديد الاضطراب شديد الشحوب .

قصد إلى أصدقائه الثلاثة وبين يديه أربع حزم من الأوراق المالية فاحتفظ لنفسه بإحدى الحزم .. وألقى إلى كل منهم بحزمة . وقال لهم : - لقد طلب إلي 'بول ايرستين' أن أرد إليكم أموالكم . لأنه لم يكن يقصد الربح . بل كان يقصد التسلية وقضاء الوقت فحسب .. والآن هلموا بنا .

ومن ثم استرد 'جان باربيه' شخصيته الحقيقية فاعتدلت قامته .. ورفع النظارة الذهبية .. ونظر إلى 'مكسيم تويلييه' الحقيقي ..

كان هذا الأخير صاحب الوجه منقلب السحنة .. وقد استند إلى أحد المقاعد كأنما ليمنع نفسه من السقوط .

قال 'باربيه' موجهًا كلامه إليه :

- هكذا وقعت المأساة .. اليس كذلك يا مسيو 'مكسيم تويلييه' ؟ ألم أقم خير قيام بالدور الذي قمت أنت به ليلة الجريمة ؟ ليلة أن ارتكبت جريمتك ؟

فاطرق "مكسيم تويلييه" براسه .

كان مضغض الحواس .. شارد اللب وفي حالة يخیل معها للناظر
إليه أن لفحة من النسيم تكفي لإلقائه على الأرض . ترنج كالثلث ..
وانهار على أحد المقاعد .

وهنا وثب عليه "باربيه" وهتف بصوت كصوت الرعد :

- اعترف إذن أيها الشقي .. لا سبيل إلى الإنكار .. فهكذا وقعت
الجريمة .

وبعد .. فعندي جميع الأدلة والبراهين .. إنك صاحب القبضة
الحديدية التي ارتكبت بها الجريمة .. وعندي الدليل على أنك كنت
تحملها دائما معك لتدافع بها عن نفسك وقت الضرورة وقد دلني
التحقيق الذي قمت به على أن مركزك المالي ليس على ما يرام .. وعلى
أن المبلغ الجسيم الذي خسرت في المقامرة كان سيلقي بك حتما في
هاوية الإفلاس .. ولهذا فإنك قتلت "بول ايرستاین" لتسترد أموالك ..
ولما حرت في أمر الاداة التي ارتكبت بها جريمتك .. وثبت إلى
المقصورة .. وخباتها هناك في إحدى أواني الأزهار .
لم يكن "باربيه" بحاجة إلى المزيد من الإيضاح ، فإن "مكسيم تويلييه"
لم يبد أي مقاومة .

كانت جريمته تثقل كاهله وتقلق باله منذ ارتكبها فاعترف علي الفور
بصوت مضطرب ولسان متلعثم .

وساد الهرج والمرج جوانب المكان .. وبينما كان قاضي التحقيق
يسجل اعترافات المتهم .. أخذ والد القتيل والمهندس "فوجريه" يسبان
"مكسيم تويلييه" ويصبان عليه جام غضبهما .

وكان أشد الجميع حنقا زملاء المتهم الثلاثة .. فصاح به أحدهم
وهو "الفريد أوفار" :

- يا لك من شقي ! انقتل ذلك التعس وتسرقه ثم توهمنا بأنه رد
إلينا أموالنا؟

وقذفه بحزمة الأوراق المالية .. وحذا زميلاه حنوه ، إذ هالهم جميعا
أن يحتفظوا بأموال ملوثة بالدماء .

وعادت السكينة شيئا فشيئا بعد أن نقل "مكسيم تويلييه" إلى غرفة

أخرى وهو في حالة يرثى لها .

جمع "جان باربيه" حزم الأوراق المالية التي قذف بها المقامرون الثلاثة زميلهم وقدمها إلى قاضي التحقيق .

واعترف قاضي التحقيق للمهندس "فوجريه" وزوجته وطلب إليهما وإلى والد القتيل الانسحاب .. ثم أقبل على المحامي "باربيه" يهتة على براعته وبعد نظره . فقال المحامي :

- إن الجريمة في الواقع عادية لا تستحق شيئا من الاهتمام .. بيد أنها اكتسبت غموضها وأهميتها من عوامل أخرى لا شأن لي بها .. ولكنني أستطيع معالجتها إذا سمحتم لي بذلك .

ثم تحول إلى المقامرين الثلاثة .. وكانوا يتحدثون فيما بينهم بصوت خافت . والقى بيده على كتف مسيو "الفريد أوفار" وقال له :

- أريد أن اتحدث إليك يا مسيو "أوفار" .

فنظر الرجل إليه متسائلا .. وقال :

- عم تريد أن تتحدث إلي ؟

- عن الدور الذي لعبته أنت وزميلك في المساة .

- إننا لم نلعب أي دور .

- بالتأكيد أنتم لم تلعبوا دورا إيجابيا .. بيد أن هناك بعض ملاحظات أحب أن أصارحكم بها . إنكم قررتم في التحقيق الابتدائي أنكم ربحتم في المرحلة الثانية من اللعب . ولما استرددتكم أموالكم انصرفتم مرتاحي البال ، وقد ثبت الآن أن الحقيقة كانت غير ذلك وأنكم منيتم بالخسارة على طول الخط .

فهز مسيو "أوفار" رأسه وقال :

- الواقع أن هناك سوء تفاهم ، فنحن في الواقع لم نربح في المرحلة الثانية من اللعب وقد نهض "بول ايرستين" بعد أن ربح أموالنا للمرة الثانية ، وقصد إلى المقصورة فتبعه "مكسيم" ليخون معه لفافة تبغ وبقيت أنا وزميلي حول المائدة .

وبعد سبع دقائق تقريبا . عاد "مكسيم" وقال لنا إن "بول ايرستين" لم يكن ينظر إلى هذه المقامرة بعين الجد لأن أدمغتنا كانت تسبح في بحار الشراب .. وأنه لذلك يرد إلينا أموالنا بشرط ألا نذكر ما حدث

لأحد .

- هل افهم من هذا انكم قبلتم منه هذه الهبة التي لا مبرر لها وقبلتموها بدون أن تشكروا صاحبها ؟ وهل كان من الطبيعي في نظركم أن يرد إليكم "بول ايرستين" أرباحه ، وهو ذلك المغامر العتيد الذي ألف الخسارة كما ألف الربح ؟

- الواقع أن الساعة كانت وقتئذ الرابعة صباحا . وكنا مضطحي الحواس من تأثير الشراب والانفعال فصدقنا "مكسيم تويلييه" ولم يترك لنا "مكسيم" فرصة للتفكير ، أضف إلى ذلك أنه لم يكن هناك ما يمنعنا من تصديق "مكسيم" . ولم يتطرق إلينا أي شك في أنه قتل وسرق .

فقال "باربيه" :

- بيد انكم علمتم في اليوم التالي أن "بول ايرستين" وجد مقتولا في المقصورة .

- هذا صحيح .. ولكننا كنا واثقين بأنه قتل بعد انصرافنا .

- ألم يداخلك أي شك في "مكسيم تويلييه" ؟

- نعم لم يداخلني أي شك .. فقد كان أبوه من أصدقائي وأنا اعرفه منذ صغره .. لا .. لا .. أنا لم أرتب في أمره .

فسأله "باربيه" :

- هل أنت واثق بذلك ؟

ثم استأنف هجومه فقال بصوت حاد :

- هناك عامل نفساني واحد ضلل المحقق وابعده عن الحقيقة منذ البداية .. ذلك العامل هو مراكزكم في الهيئة الاجتماعية والثقة التي هي من حقكم بحكم مراكزكم والاحترام الذي تستمتعون به ..

لقد كان ارتكاب الجريمة مائيا ممكنا من ناحيتين : من داخل المنتدى ومن خارجه .. بيد أن الشبهة انصرفت في الحال إلى الخارج .. لسبب نفسي جوهري هو أن الشك يجب ألا يحوم بأي حال حول أربعة أشخاص بارزين ، معروفين بالثروة والغنى ولهم مراكزهم في الهيئة الاجتماعية . ولهم سمعتهم الطيبة .

ولو أن أحكم فقط هو الذي كان يلعب الورق مع "بول ايرستين" أو

بمعنى آخر لو كان "مكسيم تويلييه" هو وحده الذي لعب الورق مع "بول ايرستايين" .. إذن لما تردد المحقق في الارتياح فيه .. بيد انكم كنتم اربعة ، وقد استطاع "مكسيم تويلييه" ان ينجو من الاشتباه بفضل صمت زملائه الثلاثة .. فلم يخطر على بال المحقق ان ثلاثة رجال في مثل مراكزكم . يجوز ان يتستروا على المجرم .. او ان يشتركوا معه ، في حين ان ذلك بعينه هو ما وقع .. على أنني أدركت هذه الحقيقة منذ البداية ..

فصاح "الفريد اوفار" :

- لا شك أنك مجنون يا هذا . اتعتقد اننا شركاء في الجريمة ؟
- لا .. أنا لا اعتقد ذلك . فمن المؤكد انكم كنتم تجهلون غرض "مكسيم تويلييه" حين تبع "بول ايرستايين" إلى المقصورة ، بيد أنه كان في استطاعتكم ان تفهموا حالته النفسية وقتذاك . كما كان في استطاعتكم حين عاد إليكم بالأوراق المالية ان تقرر عوا في سحنته ما حدث في المقصورة .

- ولكننا لم نلاحظ عليه شيئاً ؟

- هذا مستحيل . إن ذللاً جباناً مثل صديقكم "مكسيم" لا يمكن إلا ان تظهر على وجهه علامات الذعر والجزع بعد الجريمة .
- أؤكد لك اننا لم نلاحظ على وجهه شيئاً .
- إنكم أردتم الا تلاحظوا شيئاً ..
- لماذا ؟

- لأنه رد إليكم الأموال التي خسرتها . نعم . أنا اعلم انكم اغنياء واغنياء جداً ، غير أن الخسارة أزعجتكم وضايقتكم . وقد شعرتم وقتذاك بمثل ما يشعر به كل لاعب يخسر مبلغاً طائلاً في وقت قصير . اعني انكم شعرتم بانكم سرقتم فلما ردت إليكم أموالكم قبلتموها في الحال بدون ان تسالوا صديقكم عن الطريقة التي استردها بها . قبلتموها ولزمتهم الصمت .

ولما اكتشفت الجريمة . شعر كل منكم في قرارة نفسه بالحقيقة المخيفة .. ولكنكم نهبتم تتجنبون بعضكم خوفاً من ان يجد كل منكم عند زميله ما يؤيد خواطره ومشاعره .

- هذه مجرد فروض ..

- بل إنها حقائق يستطيع أن يدركها كل من له إلمام بسيط بمبادئ علم النفس . لقد لزمتم الصمت وتجنبتم اتهام زميلكم لكيلا تفضحوا ضعفكم النفساني ولكيلا تثيروا حول انفسكم الشكوك والريب . وبالصمت استطعتم أن تضللوا العدالة وأن تحموا صديقكم . كان الاتهام قويا صريحا .. فوقف مسيو "أوفار" مبهوتا مترددا .. ثم شعر فجأة بفضاعة الموقف فاحمر وجهه وهم بان يجب بحدة وحنق . وعندئذ عدل "جان باربيه" عن خطئه فجأة وقال :

- اطمئن يا سيدي .. لقد استطعت بمجرد التفكير والخديعة أن اضع القاتل بين يدي العدالة . والواقع انني لم أكن أملك أي دليل ضده .. ولست أملك الآن أي دليل ضدكم .. وقد خطر لي اني ربما استطعت الإيقاع بكم . كما أوقعت به .. ولكن الظاهر انكم أبرياء .. وعليه .. ففي وسعكم أن تطمئنوا . ثم اقترب من محدته واستطرد بصوت هادئ :
- إنكم كنتم شركاء في الجريمة بدون أن تشعروا .. فقد كان في استطاعتكم أن تدرکوا غرض "مكسيم" من مطاردة "بول ايرستين" إلى المقصورة . وكان في استطاعتكم أن تمنعوه من الانطلاق في إثر غريمه .. ولو أنكم فعلتم لبقى "بول ايرستين" حيا .
قال ذلك وتناول قبعته .. وأحنى قامته لقاضي التحقيق باحترام وقال :

- إنني وعدت مدام "فوجريه" بإنقاذ زوجها ووعدت مسيو "ايرستين" بإماطة اللثام عن قاتل ولده .. وهذا ما فعلته ، وبذلك انتهت مهمتي .
وشد على أيدي المحققين وانصرف .

ولكنه لم يكد يتوسط السلم حتى لحق به "جانيمار" فقال له :
- الواقع أنه لا يوجد دليل يستحق الذكر ضد أولئك الثلاثة .. ثم إن مراكزهم في الهيئة الاجتماعية تضعهم فوق الشبهات .. ففي إمكانك إذن أن تطمئن إلى أن استنتاجاتي وما فيها من غمز هي الدليل الأوحد ضدهم وفي اعتقادي أن العدالة لا تستطيع شيئا حيالهم . ومهما يكن من أمر فإنني عالجت القضية ببراعة .

فقال "جانيمار" :

- وبشرف .

نظر إليه "جانيمار" بارتياح وقال :

- الواقع انه كان من السهل عليك في اية لحظة ان تحتفظ لنفسك
بالأوراق المالية .

فقال "باربيه" باشمئزاز :

- من تظنني يا مسيو "جانيمار" ؟

وتركه ومضى وهو غاضب وعرج على البيت المجاور حيث يقيم
المهندس "فوجريه" هو وزوجته ، فشكره الزوجان .. وعرضا عليه
مبلغا من المال مقابل الجهود التي بذلها في سبيلهما . ولكنه هز كتفيه
باشمئزاز . وقال :

- إنني لا اعمل من أجل المال . ولكن كل غرضي هو إحقاق الحق .
وقصد "باربيه" بعد ذلك إلى الفندق الذي نزل فيه . وأمر الخدم بإعداد
حقيبته ليعود إلى باريس .

وبينما أخذ يهتم بالانصراف من الفندق . إذا بـ "جانيمار" يقبل عليه
مسرعا . وهو محتقن الوجه .

صاح به في غضب وهو يلهث :

- اهذا انت ؟ انت ؟

فنظر إليه "باربيه" في دهشة . وأجاب في هدوء :

- بالتأكيد أنا ..

- ماذا فعلت بالأوراق المالية ؟

فسأله "باربيه" في بساطة :

- عن اية أوراق مالية تتكلم ؟

- الأوراق المالية التي كانت بين يديك وانت تقوم بدور "مكسيم

تويلبيه" في المقصورة ؟

- ماذا فعلت بها ؟ إنني أعطيتها لقاضي التحقيق . ولا شك أنك

رايتني وأنا افعل ذلك .. بل إنك هناتني منذ لحظة يسيرة على أنني
عالجت القضية ببراعة .. و .. شرف ..

فصاح "جانيمار" :

- إنني هنالك لأنني لم أكن أعلم بما علمت به الآن .

- وماذا علمت ؟ .

- علمت أن الأوراق المالية التي وضعتها بين يدي المحقق كلها زائفة .

واشتد بـ "جانيمار" الحنق فاستطرد على الأثر : إنك محتال خبيث .

اتعتقد أن المسألة تنتهي عند هذا الحد ؟ كلا يجب أن ترد الأوراق الحقيقية الآن .. وتردها فوراً .

فاغرق "باربيه" في الضحك . حتى سالت الدموع من عينيه .

وراح يهتف وهو يقهقه :

- ويل للأشقياء .. لقد كنت على حق إذن في الارتياب فيهم .. إذن

فتلك الأوراق المالية التي قذفوا بها رأس "مكسيم" كانت كلها زائفة .. يا

لهم من أوغاد .

الرجل ذو الاسنان الذهبية

سمع "جان باربيه" طرقا على باب مكتبه ، ففتح الباب . وما كاد يرى الطارق حتى اغرق في الضحك .

هتف وهو يقهقه :

- هذا اعجب ما سمعت .. "جانيمار" ياتي لزيارتي ! ها .. ها .. ها ..
فانقلبت سحنة "جانيمار" وساله بلهجة تنم عن استيائه :

- واي عجب في هذا ؟ وراح يصعد "باربيه" بعينيه ويريد : واي عجب في هذا ؟ ..

- وهل هناك ما هو اعجب من هذه الزيارة ؟ كيف وجدت الشجاعة بعد حادث "روين" على ان تزورني ؟

كان "باربيه" واثقا بان "جانيمار" لم يات لزيارته إلا لانه بحاجة إليه ، وقد اثر فيه ما رأى على وجه مفتش الشرطة من دلائل الخضوع . وشعر بان الرجل يبذل قصارى جهده ليكتم غيظه وحنقه .
قال "باربيه" :

- عفوا أيها الصديق العزيز.. إنما يضحكني أن أراك في مكنتي بعد أن عبرت لي في "روين" عن ريبك في أمانتي .. وفي وسائلتي العملية . يضحكني بعد هذا أن تأتي إلى مكنتي بنفسك .. وأن تقدم إلي زبوناً جديداً .. نعم .. أنا واثق بانك جئت لتقديم إلي زبوناً جديداً وربما كان هذا الزبون الجديد من أصحاب الملايين .. أو من الوزراء . هو على كل حال عصفور يمكن نثف ريشه .

إنني أكبر فيك روح التعاون يا "جانيمار" .. والواقع من هو المحامي ؟ ومن هو مفتش الشرطة ؟ إنهما رجلان يعملان لغرض واحد . هو إحقاق الحق ، ومعاونة العدالة .

والآن يا صديقي ، مالي أراك متجههم الوجه بادي الحزن ؟ اجلس ، ورفه عنك ، واسرد علي قصتك . هل هناك من هو بحاجة إلى معونتي ؟ فتهاك "جانيمار" على أحد المقاعد وقال وهو يتنهد :

- نعم ، هناك قس محترم يقيم في ضواحي باريس ، وهو .. فقاطعه 'باربيه' .

- وماذا فعل هذا القس المحترم ؟ هل قتل أحد المتريدين على كنيسته؟
- لا .. الأمر على النقيض .

- الأمر على النقيض ؟ إذن فقد قتله أحد رواد الكنيسة .. وفي هذه الحالة .. كيف أستطيع أن أساعده ما دام قد قتل ؟
- كلا .. كلا .. صبرا .. دعني ..

- أراك اليوم ثقيـل اللسان يا 'جانيمار' . فهون عليك . لا تتكلم واذهب بي في الحال إلى هذا القس المحترم .. فانا على استعداد .
تقع قرية 'فانيل' وسط واد مترامي الأطراف يكسوه العشب الأخضر والمزروعات الياـنعة ولهذه القرية كنيسة عتيقة شيدت على الطراز الروماني تطل على مقبرة صغيرة حسنة التنسيق .

وقد ذهب 'جانيمار' بالمحامي 'جان باربيه' إلى بيت الأب 'ديسول' في كنيسة 'فانيل' وقدمه بصفته محاميا فذا له مهارة رجال الشرطة في كشف الحقائق .

ورأى 'باربيه' أمامه رجلا متوسط العمر .. مترهل الجسم تنم تقاطيع وجهه عن الهـوء والطمانينة وطيب القلب .
ولم يفت 'باربيه' أن يلاحظ من حركات القس أنه كان في ذلك اليوم بادي القلق والاضطراب .
قال له :

- يا سيدي القس إنني لا أعرف شيئا عن الحادث الذي يهـمك ويزعجك ولم يذكر لي صنيقي 'جانيمار' من أمرك إلا أنه يعرفك من عدة سنوات فهل تستطيع أن توضح لي قضيتك بإيجاز ؟
والظاهر أن القس 'ديسول' كان قد وضع قصته في صيغة مقتضبة معقولة وحفظها عن ظهر قلب . لأنه لم يكـد يسمع قول 'باربيه' حتى راح يسرد عليه قصته بصوت متزن كأنه يقرأ في كتاب مفتوح .
قال :

- يجب أن تعلم أولا يا مسيو 'باربيه' ، أن قساوسة كنيسة 'فانيل' هم في ذات الوقت الحراس الأمناء على الكنز الأثري الثمين الذي أهـدته

إلى هذه الكنيسة أسرة "فانيل" التي كانت تملك هذه الناحية حتى نهاية القرن الثامن عشر وهذا الكنز يتمثل في صليبين وشمعدانين من الذهب ، وبعض أنية ثمينة ، ومجموع القطع التي يتألف منها هذا الكنز هو - أو بالحري كان - تسع قطع .

ولست بحاجة لأن أسهب في تبيان أهمية هذا الكنز من الناحيتين الفنية والأثرية . وهنا صمت القس لحظة ، وراح يجفف العرق المتصبب على جبينه ثم استطرد :

- وإني اعترف لك يا مسيو "باربيه" بأن خوفاً على هذا الكنز كان يعادل حرصي عليه ، وكنت أشعر دائماً بأن مهمتي في حراسته هي مهمة محفوفة بأشد الأخطار ، وقد بلغ من شدة حرصي وخوفي أنني أصبحت لا أبرح الكنيسة ولا أبتعد عن مخبأ هذه التحف الأثرية الثمينة ، إلا لأرغب هذا المخبأ من منزلي . أعني من نافذة هذه الغرفة .

انظر يا مسيو "باربيه" ، إنك تستطيع من هنا أن ترى الغرفة التي تحفظ بها التحف الثمينة ، وهي غرفة خاصة ذات باب واحد من خشب السنديان المتين ، ولهذا الباب مفتاح كبير لا تمسه يد إنسان سواي . فانا وحدي الذي أحتفظ بمفتاح باب الغرفة ، وبمفتاح الخزانة الخاصة بالكنز . ويجب أن أقول لك إن الكثيرين من الزائرين يفدون خصيصاً إلى هذه القرية لزيارة كنيستها ورؤية تحفها الثمينة، فإذا طلب أحد هؤلاء الزائرين أن يلقي نظرة على هذه التحف ، فإنني أرافقه بنفسي .

وزيادة في الحيلة والحذر وضعت جرساً في غرفة نومي ، بحيث يذق من تلقاء نفسه إذا حاول أحد اقتحام غرفة الكنز . وأكثر من هذا وذلك أنني عميت إلى ائمن الأنية الأثرية فصرت أنقلها إلى غرفة نومي في كل مساء ، لكي تكون بمقربة مني في أثناء الليل ، وفي الصباح كنت أردها إلى مكانها في الخزانة ولكن حدث ليلة أمس ..

وهنا صمت القس مرة أخرى ، وراح يجفف عن جبينه حبات العرق التي كانت تزداد عدداً وحجماً كلما أمعن في قصته ثم استطرد :

- حدث ليلة أمس ، حوالي الساعة الواحدة ، أنني استيقظت من نومي مذعوراً ، لا لأنني سمعت رنين الجرس ، ولكن لأنني سمعت

صوت سقوط شيء على أرض الغرفة ، فجرى نهنى في الحال إلى التحف الأثرية التي تعوت نقلها من الخزانة إلى غرفتي كل مساء . وسألت نفسي : ترى هل سرقت ؟

صرخت بصوت مرتفع : من هذا ؟ ؟

ذلك لأنني شعرت بوجود إنسان في الغرفة ، بل كنت واثقا بذلك وواثقا أيضا من أن بعضهم فتح نافذة غرفتي لأنني شعرت بتيار من الهواء البارد يلفح وجهي .

صرخت مرة ثانية : من هذا ؟ ؟

ولكن لم اسمع جوابا . فمددت يدي إلى المصباح الكهربائي واضأته . وامتلأت الغرفة بالنور لحظة يسيرة كان فيها الكفاية لأن أرى أمامي رجلا يخفي وجهه بين قبعته العريضة وياقة معطفه ، ولم أر من وجه هذا الرجل غير فمه . وتبينت في الجانب الأيسر منه سنتين من ذهب . لم يستمر الضوء أكثر من ثانية أو ثانيتين لأن الرجل ما لبث أن ضرب ساعدي بقوة ضربة جعلت المصباح الكهربائي يفلت من يدي ويسقط على الأرض ويتحطم .

القيت بنفسي على الرجل . ولكن الظلام كان شديدا . فلم أهتم إليه وتعثرت قدماي في أحد المقاعد فسقطت على الأرض . ولما نهضت أخذت أبحث عن علبة الثقاب حتى وجدتها فاضأت عود ثقاب واجلت البصر حولي في جوانب الغرفة ولكني لم أر أحدا . أسرعرت إلى النافذة .. ونظرت منها فوق بصرى تحتها على سلم مسند إلى الجدار .

بحثت عن القطع الثمينة في غرفتي فلم أجدها فارتديت ثيابي على عجل . وأسهرت إلى الكنيسة وفتحت باب الغرفة ، وباب الخزانة التي توجد بها بقية النفائس ولكني لم أقع لها على أثر . وكف القس عن الكلام للمرة الثالثة وراح يجفف العرق المتصبب على وجهه وجبهته . قال "باربيه" :

- لا شك أنك وجدت جبل جرس الإنذار مقطوعا .. اليس كذلك ؟ وهذا معناه بالتاكيد أن السارق هو أحد الذين يعرفون كنيسةك وبيتك حق

المعرفة ويعلمون أنك تضع جرسا لإنذارك في حالة وقوع سرقة ، وانك تنقل إلى غرفة نومك اثنى النفاثس التي تخشى عليها من السرقة .. ولكن أتم حديثك يا سيدي القس .. هل انطلقت توا في إثر السارق ؟ فاجاب القس وهو يتنهد :

- بل وفعلت أكثر من ذلك .. إذ جعلت اصرخ واصيح مستغيثا ، ويؤسفني في الحق أنني فعلت ذلك .. لأن رؤسائي يمقتون الضجة وإثارة الفضائح .. وأنا واثق بانهم سيعنفونني اشد العنف على أنني صرخت واحدثت ضجة .

ولكن من حسن الحظ أن احدا لم يسمع استغاثتي سوى جاري البارون "دي جرافيير" الذي يقيم هنا منذ عشرين سنة ويستثمر بنفسه الاراضي الواسعة الكائنة في الناحية الاخرى من المقبرة . وقد نصحتني البارون بأن اقوم بمحاولة خاصة لاسترداد التحف الثمينة والا اخطر رجال الشرطة بالحادث إلا إذا يئست . ولما كان البارون يملك سيارة فقد رجوته أن ينطلق بها في الحال إلى باريس لإحضار صديقي المفتش "جانيمار" .

فقال "جانيمار" بصوت ينم عن الصلف والخيلاء :

- إنني وصلت إلى هنا في الساعة الثامنة وفي الساعة الحادية عشرة كان كل شيء قد انتهى .

فهتف "باربيه" :

- بالله ! ماذا تقول ؟ هل قبضت بالفعل على السارق ؟

فاشار "جانيمار" بسبابته إلى السقف وقال بكبرياء :

- إنه سجين في مخزن الغلال تحت حراسة البارون "دي جرافيير" .

فصاح "باربيه" :

- يا لك من رجل بارع .. اسرد علي ما حدث إذن يا "جانيمار" .. ولكن

بإيجاز .

فاجاب "جانيمار" :

- لقد كانت المسألة غاية في البساطة .. وكأنت الأدلة كثيرة . كانت هناك آثار اقدام على الأرض المبللة بماء المطر بين الكنيسة وبيت القس، وقد دلت هذه الآثار على أن شخصا واحدا هو الذي قام بهذه

المغامرة الجريئة . وان هذا الشخص سطا أولا على الكنيسة فحمل النفائس إلى مكان قريب ثم جاء بسلم استند إلى جدار المنزل وسرق النفائس من غرفة القس ، ثم عاد أدراجه إلى غنيمته الأولى فحملها ولاذ بالفرار .

وقد انقطعت آثار قديمي السارق بالقرب من حانة "هيوليت" .. فقال "باربيه" :

- وكان من الطبيعي إذن أن تستجوب صاحب الحانة . فاجاب "جانيمار" :

- لقد استجوبته ، وما كنت أنكر له الأوصاف التي تبينها سيدي القس في سارق نفائسه حتى هتف : هذه الأوصاف تنطبق تماما على مسيو "فرنيسون" التاجر المتنقل الذي يزور هذه القرية في يوم ٤ مارس من كل عام . وقد جاء بمركبته بعد ظهر أمس .. وتناول الغداء في هذه الحانة ثم انطلق لزيارة زبائنه . فسألته :

- ومتى عاد إلى الحانة بعد ذلك ؟

فاجاب صاحب الحانة :

- إنه رجع في الساعة الثانية صباحا كالمعتاد . سألته :

- وهل هو الآن في الحانة ؟

- لا .. إنه رحل منذ أربعين دقيقة .. وانطلق بمركبته في الطريق إلى "شانتيلي" .

فقال "باربيه" محدثا "جانيمار" :

- وإن فقد انطلقت في أثره في الطريق إلى "شانتيلي" ؟

- نعم .. وقد استعنت على مطاربه بسيارة البارون "دي جرافير" .

فأدركته في منتصف الطريق .. وعت به إلى هنا رغم احتجاجه الشديد .

فسأله باربيه :

- ألم يعترف ؟

- بلى إنه اعترف نصف اعتراف إذ قال لي "ارجو الا تذكروا شيئا لزوجتي" .

- والنفائس المسروقة ؟

- لم نجد لها اثرا في مركبته او في حقائبه .
- وهل الالة ضده قوية ؟

- إن الالة ضده قوية وكثيرة .. فحذاؤه ينطبق تماما على
الاثار التي وجدناها .. اصف إلى ذلك أن سيدي القس قد قرر أنه رأى
المتهم يتجول في المقبرة بعد ظهر أمس .
فقال "باربيه" :

- إذا كنت قد قبضت على السارق . ووجدت الالة على إدانته
فلماذا جئت بي إلى هنا ؟

فاجاب "جانيمار" بشيء من السام :

- إنني جئت بك إلى هنا للاحتكام أمامك في خلاف شجر بيني وبين
سيدي القس حول مسألة ثانوية بحثة .
فهتف القس :

- ثانوية ؟ إنها على جانب عظيم من الأهمية .
فساله "باربيه" :

- وما هذه المسألة يا سيدي القس ؟
فاجاب القس :

- إنها خاصة .

- خاصة بماذا ؟

- بالأسنان الذهبية .. فالرجل المقبوض عليه ، له حقا سنتان من
ذهب . ولكنهما ..
- ماذا ؟

- ولكنهما في الجانب الايمن من فمه . أما الرجل الذي رأيته في
غرفتي فكانت سنتاه الذهبيتان في الجانب الايسر من فمه .
وهنا لم يستطع "باربيه" ضبط نفسه . فانفجر ضاحكا حتى
اغرورقت عيناه بالدموع .

ونظر إليه القس "نيسول" في بهشة .. فهتف "باربيه" :

- في الجانب الايمن من فمه ؟ يا للكارثة ؟ ولكن هل انت واثق بانك
لم تخطئ يا سيدي القس ؟ فاجاب القس :
- إنني أشهد الله على صدق قولي .

- وهل سبق لك حقا أن رأيت المتهم في المقبرة ؟

- نعم رأيته في المقبرة بعد ظهر أمس كما قال مسيو "جانيمار" ..

ولكن لا بد أن الرجل الذي رأيته ليلا في غرفتي يختلف عن المتهم ..

بدليل اختلاف موضع السننتين الذهبيتين .

فهتف "باربيه" وهو لا يزال يقهقه :

- ربما كان الرجل قد أبدل وضع سنتيه .. أريد أن أرى هذا المتهم ذا

الأسنان المتحركة فجئنا به يا "جانيمار" .

وما هي إلا بضعة دقائق حتى أقبل "فرنيسون" المتهم فإذا هو رجل

قصير القامة محدوب الظهر قليلا .. تبدو على وجهه علامات الحزن

والأسى ويدعو منظره إلى الشفقة .

وقد دخل في اثره رجل آخر طويل القامة عريض الكتفين قوي

العضلات يحمل في يده مسدسا . فعرف "باربيه" في هذا الأخير

البارون "دي جرافيير" الذي تكلم عنه القس وقال عنه "جانيمار" إنه

يتولى حراسة المتهم .

وما كاد يستقر بـ "فرنيسون" المقام في الغرفة حتى راح يقول بصوت

حزين:

- إنني لا أفهم شيئا من كل هذا .. تحف ثمينة مسروقة .. وقفل

محطم وسلم مسند إلى الجدار .. فما معني كل ذلك ؟

فصاح به "جانيمار" :

- اعترف .. فذلك أجدي لك من اللف والدوران .. اعترف بانك سطوت

على نفائس الكنيسة .

فاجاب الرجل :

- إنني اعترف بكل ما يطلب إلي الاعتراف به بشرط ألا تخطروا

زوجتي بشيء .. لا .. لا أريد أن تعلم زوجتي بشيء من كل هذا ..

لقد بعثت إليها بانني ساعود إلى بيتنا في "أراس" في الأسبوع المقبل .

ويجب أن أعود إليها في الموعد المتفق عليه .. بدون أن يقال لها شيء

من كل هذا .

ووقف لاهث الأنفاس مفتوح الفم من تأثير الخوف والتعب ..

فظهرت سنياه الذهبيتان في الجانب الأيمن من فمه .

اقترب منه "باربيه" .. ووضع إصبعه في فمه ومس سنتيه وقال بصوت رزين:

- إنهما ثابتان في الجانب الأيمن من فمه .. بيد أن سيدي القس رأى السنتين في الجانب الأيسر من فم السارق .
فصاح "جانيمار" في غضب :

- ولكن هذا لا يغير شيئا من الواقع .. فالسارق هو هذا الرجل الذي قبضنا عليه .. وقد كان يتردد على هذه القرية طيلة الأعوام الأخيرة فوضع خطته بإحكام . ولما اختمرت الفكرة في رأسه و رأى الفرصة سانحة ، سطا على سطح الكنيسة وعلى بيت القس . إنه السارق أما سيدي القس فقد رأى غير الواقع .. ولا شك أن بصره قد خانه .
فبسط القس ساعده إلى الأمام وقال :

- أشهد الله على أنني رايت سنتي السارق في الجانب الأيسر من فمه .

- بل في الجانب الأيمن .

- في الجانب الأيسر .

واحتد الرجلان فوقف "باربيه" بينهما وقال :

- لا معنى للجدل الآن .. أود قبل كل شيء أن أعرف وجهة نظر سيدي القس ..
فقال القس :

- كل ما أريده هو أن نكون على يقين . فلا نظلم أحدا ولا نأخذ الرجل بجريمة لم يرتكبها .. يجب أن نتحقق أولا . يجب أن نقتنع .
- وإذا لم نتمكن من إقناعك ؟

- في هذه الحالة الجا إلى العدالة كما كان يجب علي أن أفعل منذ البداية وإذا لم يكن هذا الرجل هو السارق فليس من حقنا أن نبقية هنا وإن نسلبه حريته ونعوقه عن عمله .. وأنا أرتاب كثيرا في أنه السارق الحقيقي لأنني رايت سنتي السارق في الجانب الأيسر من فمه .

فهتف "جانيمار" :

- بل في الجانب الأيمن .

فصاح القس بإصرار :

- بل في الجانب الأيسر .

فقال "باربيه" وهو يضحك :

- لا الجانب الأيمن ولا الجانب الأيسر . أصغ إلي يا سيدي القس ..
إنني سأضع السارق الحقيقي بين يديك قبل الساعة التاسعة من
صباح غد وسيرشدنا السارق بنفسه إلى المكان الذي أخفى فيه
النفاثس المفقودة .. ولكن يجب فقط ألا تبرحوا هذه الغرفة .. فاقض
انت ليلتك في هذا المقعد .. وليرقد سيدي البارون على المقعد المجاور له
ومسيو "فرنيسون" على هذا المقعد الثالث .. ولا مانع من أن يشد
"جانيمار" وثاق المتهم إذا أراد .. أما انت يا "جانيمار" فكل ما أطلبك به
هو أن توقظني في الصباح في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ بالضبط .
وأن تعد لي طعام الفطور من الخبز المحمر والبيض والشيكلولاتة ..

وقد شوهد "باربيه" في مساء ذلك اليوم في أكثر من مكان واحد .
شوهد في المقبرة يقرأ ما هو مكتوب على شواهد جميع القبور .
وشوهد في مكتب التليفون .. ثم شوهد في حانة "هيبوليت" حيث
تناول طعام العشاء مع صاحب الحانة .. وأخيرا شوهد في بعض
الطرق الزراعية وفي بعض الحقول .

ولم يعد "باربيه" إلى بيت القس إلا في الساعة الثانية صباحا فوجد
القس يغط في نومه .. والمفتش "جانيمار" يناقسه في الغطيط كأنهما
في مباراة يحاول كل منهما أن يفوز فيها بالبراعة في الغطيط .

وكان "فرنيسون" هو الوحيد الذي لم يغمض له جفن .. فلم يكذب يرى
"باربيه" وهو يدخل الغرفة حتى نظر إليه متوسلا ، وقال ضارعا :

- كل ما أرجوه هو ألا تخطروا زوجتي .

فلم يجبه "باربيه" . بل ارتقى على أحد المقاعد واغمض عينيه ..
ونام نوم الأبرار .

وفي الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ تماما ، ايقظه "جانيمار" وقدم إليه
طعام الفطور الذي أوصى به فالتهم "باربيه" قطعتين من الخبز .
وشرب قدحا من الشيكلولاتة ثم اجلس الآخرين حوله وقال :

- هاأنذا أفي بوعدني يا سيدي القس . لقد وعدت بأن أرشدك إلى

السارق قبل الساعة التاسعة .. وهذا ما سافعله الآن . اما انت يا عزيزي "جانيمار" .. فإنني سابرهن لك في التو واللحظة كيف ان بصمات الاصابع ورماد لفافات التبغ وغير ذلك من الآثار التي يقيم لها المحترفون من رجال الشرطة اهمية عظيمة في تحقيق الجرائم .. سابرهن لك في التو واللحظة كيف ان هذه الأشياء جميعا لا تذكر إذا قيست بما يستطيع الإنسان ان يفيد من التفكير السليم والتجارب والمنطق .

سابدا الآن الكلام عن "فرنيسون" فاقول ..
وهنا تحرك "فرنيسون" في مكانه بقلق . وهتف :
- قل عني ما شئت .. فقط ارجو الا تعلم زوجتي شيئا .
فقال "باربيه" :

- منذ ثمانية عشر عاما .. كان مسيو "فرنيسون" يشتغل - كما يشتغل الآن - تاجرا متنقلا .. وكان يمثل أحد مصانع الدبابيس . وقد حدث في أحد الايام ان عرج وهو في طريقه على هذه القرية فرأى فيها فتاة تدعى "انجيلا" .. كانت تشتغل حائكة ثياب في هذه الناحية . رأى الفتاة فاحبها من أول نظرة .. وبابلته الفتاة الحب فحصل من مصنع الدبابيس على إجازة .. وعاد إلى هذه القرية وقضى إجازته في مغازلة الفتاة والتقرب إليها واستطاع أخيرا ان يقنعه بان تقترن به . وقد كان زواجهما سعيدا وموفقا .. فلم يتدم أحدهما قط على انه أحب الآخر واقترن به ..

بيد ان سعائتهما كانت قصيرة الاجل ككل سعادة في هذه الحياة ، إذ توفيت "انجيلا" بعد عامين .. وخلفت لزوجها التمس والحنن والحسرة .

لم تندمل جراح قلب "فرنيسون" .. وإن يكن قد وقع فيما بعد في شرك فتاة أخرى لعوب تدعى "اونورين" .

وقد استطاعت "اونورين" بدائها ان تحمله على الاقتران بها ... بيد انها لم تستطع قط ان تنسيه زوجته الاولى .

وقد علمت "اونورين" مع مرور الايام بما يكنه زوجها لذكرى امراته الاولى من احترام وإعزاز .. وكانت شديدة الغيرة .. فراحت تضايقه

وتعيب عليه تقديسه نكرى زوجته الاولى .. حتى صار المسكين لا يجسر على ذكر اسم "انجيلا" امامها .

بيد انه لم ينس "انجيلا" قط .. وذلك هو السر في ترده على قرية "فانيل" مرة في كل عام . اليس كل ما ذكرته صحيحا يا مسيو "فرنيسون" ؟

فاجاب "فرنيسون" :

- بلى كل شيء صحيح .. فقط ارجو الا ..

فقاطعه "باربيه" مستطردا :

- وهكذا راح "فرنيسون" يزور هذه القرية مرة في كل عام ويحرص اشد الحرص على الا تعلم زوجته بامر هذه الزيارات حتى لا تضايقه وتجعل حياته لا تطاق .

كان يزور هذه القرية في اليوم الرابع من شهر مارس من كل عام .. وهو اليوم الذي توفيت فيه "انجيلا" المحبوبة فلا يكاد يصل إلى القرية حتى يقصد توا إلى القبر الذي دفنت فيه "انجيلا" فيجلو امامه الساعات الطوال ثم يقضي بعض الوقت في زيارة الامكنة التي طالما تنزه فيها مع "انجيلا" ... ويعود اخيرا إلى الحانة في ساعة متأخرة من الليل .

وإن في استطاعتكم ان تروا من هذه النافذة قبر "انجيلا" المحبوبة .. وهو قبر متواضع نقشت عليه هذه الكلمات :

"هنا ترقد انجيلا"

"التي توفيت في ٤ مارس"

"والتي احبها "فرنيسون" ولايزال يبكيها"

وقد قرأت هذه الكلمات فكان فيها الكفاية ، لأنها تتضمن كل قصة "فرنيسون" .. وتوضح سر زيارته السنوية في موعد لا يتغير ..

ولعلمكم تفهون الآن لماذا يشفق "فرنيسون" من ان تعلم زوجته الحالية بترده خلسة على هذه القرية . إنه يخشى إذا علمت ان تطارده بغيرتها وغضبها وتحرم عليه زيارة هذه القرية حيث ترقد المرأة الوحيدة التي احبها في حياته .

وهنا بكى "فرنيسون" . ولم يعلم احد هل كان بكاءه حزنا على زوجته

الأولى .. أم خوفا من بطش زوجته الثانية ؟

وكان القس والبارون و"جانيمار" يصغون إلى حديث "باربيه" باهتمام شديد فاستطرد قائلا :

- أوضحت لكم الآن ما كنتم تجهلون من أمر "فرنيسون" وزياراته المنتظمة لهذه القرية .. وبسطة أمامكم الحل الصحيح لهذه العقدة .. وهذا الحل يوضح كذلك ناحية من نواحي الغموض الذي يكتنف مسألة الكنز المسروق .

نعم .. إن هناك صلة وثيقة بين زيارات "فرنيسون" وسرقة نفائس الكنيسة .

إنكم لا تنكرون بغير شك أن لهذه النفائس قيمة مادية عظيمة تحرك أطماع الطامعين .. وتغري المغامرين بمحاولة الاستيلاء عليها فلا غرابة إذا فكر أحد الزائرين أو أحد أهل القرية في سرقتها .

بيد أنه ليس من السهل سرقة هذه النفائس نظرا للاحتياطات الشديدة التي اتخذها القس .. إن أكثر الصعوبات تزول إذا علم الإنسان بامر هذه الاحتياطات ووجد فسحة من الوقت لوضع الخطة والتوفر على دراستها بحيث إذا انفذها لم تتجه إليه الشبهة .

نعم .. كان يهم السارق قبل كل شيء أن يكون بمنجاة من الشبهة .. وكانت أفضل وسيلة لإبعاد الشبهة عن نفسه أن يوجه التهمة إلى آخر .. إلى "فرنيسون" مثلا .. لأن "فرنيسون" يزور القرية والمقبرة في وقت محدد ويحيط حركاته وسكناته في أثناء وجوده في "فانيل" بالكتمان الشديد. ويخلق حول نفسه جوا جديرا بأن يثير الشكوك حوله.

وهكذا وضعت الخطة بصبر وناة .. ونسجت خيوطها في هدوء .. ونضجت على مهل .. فاعد السارق الحقيقي قبعة عريضة الحافة كقبعة "فرنيسون" . ووضع في فمه سنتين ذهبيتين كسنتي "فرنيسون" .. وانتعل حذاء يترك مثل الأثر الذي يتركه حذاء "فرنيسون" .

صفوة القول أن الجريمة دبرت بحيث تلصق تهمةها بهذا الرجل البريء دون الفاعل الحقيقي الذي يحتمل أن يكون من المقربين إلى القس ذاته .. ومن أعلم الناس بشؤونه وعاداته .

وهنا صمت 'باربيه' ليعترك لسامعيه فرصة لاستيعاب كلامه وإدراك الحقيقة التي بدأت تتبلج .

اما 'فرنيسون' فإنه اطلق براسه .. وبدأ في صورة الضحية البريئة فقال ، له 'باربيه' :

- كن مطمئنا يا مسيو 'فرنيسون' .. وثق بان زوجتك لن تعلم بشيء مما حدث .. واغفر لصديقي 'جانيمار' غلطته ثم اغفر لي انني فتشت مركبتك ليلا بدون علمك وعثرت على رسائل 'انجيلا' إليك وقرأتها بدون ان تاذن لي بذلك .

إنك حري يا مسيو 'فرنيسون' .. فانصرف إذا شئت .

فنهض 'فرنيسون' واقفا .. وهم بالانصراف . فصاح 'جانيمار' بحدة :
- صبرا لحظة .

فساله 'باربيه' :

- ماذا عندك يا 'جانيمار' ؟ تكلم .

فصاح مفتش الشرطة :

- والسنتان الذهبيتان ؟ لا يجب إهمال هذه النقطة .. لقد لاحظ سيدي القس وجود سنتين ذهبيتين في قم السارق .. وها نحن نرى هاتين السنتين في الجانب الايمن من قم مسيو 'فرنيسون' .. فكيف تستطيع التجاوز عن هذه القرينة ؟

فقال القس مصححا كلام 'جانيمار' :

- إنني رايت السنتين في الجانب الايسر من قم الرجل .
فقال 'جانيمار' .

- او في الجانب الايمن .

- كلا .. أوكد انهما كانتا في الجانب الايسر .

فضحك 'باربيه' وقال :

- كفى مشاحنة .. إنكما تتجادلان في امر واضح وضوح الصبح لذي عينين . وإنه ليدهشني حقا يا 'جانيمار' وأنت من كبار رجال الشرطة أن تقف هكذا حائرا شارد اللب أمام عقدة بسيطة كهذه العقدة التي يستطيع أي غلام في المدرسة أن يحلها .

إنك رايت السارق في هذه الغرفة يا سيدي القس .. اليس كذلك ؟

- بلى .

- وقد رأيته ليلا .

- بلى .

- إذن لنغلق هذه النافذة ولنسد الستار لكي يسود الظلام .. هذا حسن .. والان يا مسيو "فرنيسون" .. أرجو أن تعيرني قبعتك العريضة ومعطفك .

وارتدى "باربيه" معطف "فرنيسون" وقبعته .. ورفع ياقة المعطف ووقف أمام القس .. ثم أخرج من جيبه مصباحا كهربائيا صغيرا وأضاءه .. وسلط ضوءه على قدميه .. فصاح القس على الفور وقد أعاد ذلك المنظر إلى ذهنه ما وقع ليلة السرقة :

- الرجل ذو السنتين الذهبيتين ؟

فسأله "باربيه" :

- في أية ناحية من فمي ترى السنتين الذهبيتين يا سيدي القس ؟
- في الناحية اليمنى .. ولكنني رأيتهما في تلك الليلة في الناحية اليسرى ..

فاطفا "باربيه" مصباحه الكهربائي .. ثم أمسك بكتفي القس وأرغمه على أن يدور حول نفسه مرارا .. ثم أشعل مصباحه الكهربائي فجأة .. وقال بلهجة الأمر :

- والان .. انظر أمامك .. أمامك تماما .. ألا ترى السنتين الذهبيتين ؟
في أية ناحية هما الآن ؟

فاجاب القس في دهشة وذهول :

- في الناحية اليسرى ..

فاطفا "باربيه" مصباحه ، ورفع الستار ، وفتح النافذة .. وقال :

- إنك لست على بينة من أمرك كما رأيت يا سيدي القس فقد ذكرت مرة أنك رأيت سنتي الذهبيتين في الجانب الأيمن من فمي ، ثم ذكرت أنهما في الجانب الأيسر .. ولكني سناوضح لك الحقيقة وأفسر لك ما حدث ليلة السرقة .

إنك عندما استيقظت من نومك في تلك الليلة .. كنت مضطرب الذهن، مضطرب الأعصاب .. فلم تلاحظ أنك أدركت ظهرك إلى النافذة وحولت

وجهك شطر الموقد ، وأن السارق لم يكن أمامك .. بل كان إلى جانبك ، فلما أضأت المصباح لم يسقط الضوء على السارق .. بل سقط على صورته المنعكسة على هذه المرأة المثبتة بالجدار ، وذلك بالضبط ما حدث لك الآن .. فإنني جعلتك تدور حول نفسك حتى إذا اضطربت حواسك ، جعلتك ترى صورتني منعكسة في المرأة .. فخيل إليك أنك تراني . ولست بحاجة بالتأكيد لأن أنكر أن المرأة تعكس أوضاع الأشياء ، فانت ترى فيها اليمين يسارا واليسار يمينا ... وهذا هو السر في أنك رايت في الجانب الأيسر من قم السارق سنتين كانتا في الواقع في الجانب الأيمن من فمه ..

فصاح "جانيمار" بلهجة الفوز :

- هذا صحيح .. وإذن فقد كنت على حق .. بيد أن هذا لا يمنع من القول بأن سيدي القس لم يخطئ حين أكد أنه رأى السنتين في الجانب الأيسر .. ومهما يكن من أمر فقد أصبح من المؤكد أن للسارق سنتين من ذهب .. وما دام "فرنيسون" لم يسرق فيجب أن نبحث الآن عن رجل آخر في فمه سنتان ذهبيتان ..

فقال "باربيه" في هدوء :

- كلا ..

فصاح "جانيمار" :

- ماذا ؟ اليست للسارق سنتان ذهبيتان ؟

فقال "باربيه" :

- وهل تعتقد أن لي سنتين ذهبيتين ؟

وأخرج من فمه ورقة مذهبة كان قد وضعها فوق سنتيه .. فاصبح يخيل للنظر أن السنتين من ذهب .. واستطرد قائلا :

- أرايت الآن كيف أنه ليس من الضروري أن تكون للسارق سنتان ذهبيتان ؟ وأن اتخاذ شخصية "فرنيسون" لم تكلف السارق أكثر من قبعة عريضة وحذاء مماثل لحذاء هذا المتهم البريء ، وأن تقليد السنتين الذهبيتين لم يكلفه أكثر من ابتياع قطعة من الورق المذهب كالقطعة التي ابتاعها البارون "دي جرافيير" من حانوت القرية منذ ثلاثة أشهر ؟

وقد نطق "جان باربيه" بالعباره الاخيرة بقله اكتر اثار .. ولكنها
احدثت اثرها السريع ، فساد صمت عميق .. وظهرت على وجه
"جانيمار" والقس علامات الدهشة والذهول .. بدات الحقيقه تتبلج
امام عيني "جانيمار" بعد هذا الايضاح الذي ادلى به "باربيه" ، فنظر
إلى البارون مرتابا مستنكرا .

اما القس فبقي في مكانه مذهولا .. وراح يلتقط أنفاسه بصعوبه ،
حتى كان يخيل للمناظر إليه انه يوشك أن يختنق .. وجعل ينقل البصر
خلسه بين البارون والمحامي ..

واما البارون "جرافير" فقد احمر وجهه فجاة .. ولكنه لم ينطق
بكلمه ..

ورد "باربيه" القبة والمعطف إلى "فرنيسون" .. فتناولهما هذا الاخير
وقال وهو يهم بالانصراف :

- هل تؤكدون لي ان زوجتي لن تعلم شيئا من كل هذا ؟ يا إلهي إنها
لو علمت ..

فقاطعه "باربيه" :

- كن مطمئنا ..

ورافقه "باربيه" إلى الباب ثم عاد ادراجه وعلى وجهه علامات
السرور . فرك يديه بارتياح وقال :

- لقد احرزت في حل هذه المشكله فوزا سريعا من حقي ان افخر به ..

ولكن هل تعلم كيف وصلت إلى هذا الحل السريع أيها العزيز
"جانيمار" ؟ .. إنني لم اتحول قط عن طريقتي العاديه التي رايتني
اسير عليها في جميع القضايا التي عملنا فيها معا .. وهذه الطريقه
هي الا اهتم الشخص الذي ارتاب فيه فلا استجوبه ، ولا استوضحه
شيئا ، ولا اهتم به .. بل اسقطه من حسابي ، واتظاهر بانني لا اشعر
بوجوده .. وبذلك يطمئن إلى انه بعيد عن كل الشبهات والريب ،
وبينما هو في اشد حالات الطمأنينه والثقة بالنفس .. اعيد امام نظره
تمثيل المغامرة التي كان هو بطلها ، والقي امامه ضوءا ساطعا على
السر الذي كان يعتقد انه لن يفتضح .. وبذلك يجد نفسه فجاة - وعلى
غير انتظار - مقهورا مشدوها حائرا ، ويرى امامه جميع الالهة التي

تثبت إدانته .. فتضطرب اعصابه ، ويطيش عقله ، ولا يفكر حتى في ان يحتج أو يدافع عن نفسه .

اليس كذلك يا سيدي البارون ؟ اتوافقني على هذا الرأي ؟ انا بالتأكيد لم اعد بحاجة إلى نكر ما عندي من الأدلة .. وبحسبي انني شرحت الحادث وشرحت حالتك النفسية شرحا ينطبق على الواقع والحقيقة .

ولابد ان يكون البارون قد عانى حقا ذات المشاعر التي نكرها 'باربيه' ، لأنه لم يحاول دفاعا أو احتجاجا .. بل أطرق براسه ، واحمر وجهه ثم اصفر .. وكان حاله حال مجرم ضبط متلبسا بجريمته .. فاقترب منه 'باربيه' .. وقال له في هدوء ، بلهجة التاكيد :

- ومع ذلك فيجب ان تكون مطمئنا يا سيدي البارون .. لان احدا لن يفيد من هدمك وإرسالك إلى السجن ، ولأن سيدي القس لا يريد إحداث أية ضجة أو أية فضيحة .. كل ما يريده الاب 'ديسول' ، هو ان ترد إليه النفائس المفقودة .. وبذلك يعتبر الحادث كان لم يكن ..

فرفع البارون 'دي جرافير' راسه ، وحملق لحظة إلى وجه خصمه العنيد ثم غمغم :

- الا يبلغ الأمر إلى رجال العدالة ؟ الا تثار حولي أية فضيحة ؟ وهل يقطع سيدي القس على نفسه عهدا بالا ييوح بشيء مما حدث ..؟

فهتف الاب 'ديسول' :

- اعدك بان اكتم ما حدث .. بل وبان اتناسى كل شيء فور عودة النفائس إلى موضعها .. ولكن .. هل يمكن هذا يا سيدي البارون ؟ وهل صحيح انك الذي اقدمت على هذه الفعلة ؟ .. انت الذي اتخذتك من دون أهل القرية صديقا وصاحباً ، وكنت اعتقد فيك النبل والأمانة والإيمان ؟

فاطرق البارون براسه .. وظهرت على وجهه علامات الذلة والمسكنة .. وغمغم يقول بلهجة الغلام الذي يعترف بخطئه :

- عفوا يا سيدي القس .. إنني لم أستطع مقاومة الإغراء كنت أرى هذه النفائس دائما أمامي ، وفي متناول يدي .. فما زلت اكبح جماح نفسي حتى صرت إلى حالة عجزت معها عن كل مقاومة ..

نعم .. إنني قاومت ، وقاومت ، لأنني لم أكن راغبا في الحصول على ما ليس من حقي .. ولكن إغراء الشيطان كان أقوى من إرادتي ، فعملت بوحى الطمع والجشع .. ورجحت في نفسي كفة الشر على كفة الخير ، وأخذت افكر وأضع خطة للعمل :

فهتف القس في ألم ..

- يا إلهي .. أيمكن هذا .. أيمكن هذا ؟

فقال البارون :

- نعم .. هذا ما حدث .. فقد فكرت في الاستيلاء على النفائس .. ليس لقيمتها الفنية أو الأثرية ، بل لقيمتها المادية .. ذلك لأنني خسرت كل ثروتي في المضاربات ، وسدت أمامي جميع السبل .. حتى لقد فكرت أخيرا في بيع الثمن ما أملك من اثاث وتحف ، ووضعت هذا الاثاث وهذه التحف في حظيرة سيارتي استعدادا لبيعها فيما إذا أخفقت المغامرة التي دبرتها .

قررت إذن أن أنقذ موقعي مهما كلفني الأمر .. وكنت قد فكرت فيما مضى في إمكان السطو على نفائس الكنيسة . وخطرت لي في ذلك العهد ذات الخطة التي أنفذتها أخيرا ، ولكنني - كما قلت - استطعت وقتذاك أن أتخلص من إغراء الشيطان . فلما تخرجت أحوالي المالية أخيرا فكرت من جديد في تلك الخطة القديمة .. وفي إمكانني إنفائها .. واقترب يوم ٤ مارس .. فلم استطع مقاومة الإغراء وسقطت في هوة الجريمة . فغفرانك يا أباي ..

فقال القس :

- إنني اغفر لك .. وأسأل الله ألا يجزيك جزاء صارما . فنهض البارون واقفا وقال بلهجة فيها العزم :

- والآن .. تعالوا معي لادلكم على مكان النفائس ..

وغادروا بيت القس .. وساروا في الطريق العام كما يسير طلاب النزهة ..

وكان البارون يمشي بخطوات ثقيلة .. أما القس فكان يخرج منبذله بين وقت وآخر ليجفف العرق المتصيب على جبينه .
أما "جانيمار" .. فكان في أشد حالات القلق ..

لم يكن عنده شك في أن "باربيه" الذي استطاع حل اللغز بهذه السرعة المدهشة قد استطاع كذلك أن يضيف النفائس إلى ممتلكاته الشخصية ..

وأما "باربيه" .. فكان يادي السرور والاعتباط ، فاقترب من "جانيمار" وقال له في همس :

- يا إلهي .. كيف لم تعرف المجرم الحقيقي لأول وهلة أيها الأعمى ؟ ..
أما أنا فقد شعرت في الحال بأن قدوم "فرنيسون" إلى هذه القرية مرة واحدة في العام لم يكن يكفي لوضع مثل هذه الخطة وتنفيذها ، وأيقنت أن هذه المغامرة لم يضطلع بها سوى رجل من أهل هذه الناحية .. بل ومن الجيران المقربين إلى القس .. ولم أجد أقرب إلى القس من هذا البارون ، فإن بيته يطل على الكنيسة وعلى منزل الأب "ديسول" .. وقد كان بطبيعة الحال على علم بجميع الاحتياطات التي اتخذها القس لصيانة نفائسه ، وكان على علم كذلك بالزيارات المنتظمة التي كان يقوم بها "فرنيسون" .. وبذلك استطاع أن يضع خطة محكمة لإلصاق التهمة بالرجل البريء ..

بيد أن "جانيمار" لم يكن يصغي إليه .. بل كان في شغل بالتفكير في المفاجأة المنتظرة .. نعم .. كان واثقا بأنهم متى بلغوا المكان الذي أخفى فيه البارون النفائس .. وجدوه خاليا .. ولم يقعوا فيه على أثر للتحف الثمينة .

استطرد "باربيه" :

- ولما اطمأنتت إلى أنني قد فهمت الوضع الصحيح للقضية وجهت التهمة إلى البارون في جراءة .. بدون أن يكون عندي دليل واحد أو شبه دليل .. فرايت الرجل يضطرب وينكمش ، فضاعفت الهجوم .. وها هي ذي النتيجة ..

أوه يا "جانيمار" العزيز .. إنك لا تستطيع أن تدرك مبلغ اغتباطي بأمثال هذا الفوز الذي ينهض قبل كل شيء على أساس من التفكير السليم والاستنتاج الصحيح .

فهز "جانيمار" رأسه وقال :

- بل إننا لم نعرف النتيجة بعد ..

وكان البارون في هذه الاثناء قد تجاوز حدود املاكه ، وعرج على ممر ضيق مغطى بالعشب .. فسار فيه نحو مائة متر .. ثم وقف امام دغل من اشجار السنديان وقال :

- هنا خبات التحف الاثرية .. بين هاتين الشجرتين ..

فاندفع القس إلى حيث أشار البارون .. وتبعه "جانيمار" وهو يلهث من فرط القلق والانفعال ..

وأعمل الرجلان اصابعهما في كومة من التراب .. وما لبث القس ان صاح في جذل :

- ها هي ذي التحف .. ها هو ذا الشمعدان والصليب .. يا إلهي .. ها هي ذي القطعة الخامسة ، وها هي ذي السادسة .

فهتف "جانيمار" :

- وها هي ذي القطعة السابعة .. فصاح القس :

- إنها جميعا تسع قطع .. فاين القطعتان الباقيتان ؟

فقال "جانيمار" وهو يتنفس الصعداء :

- ها هما .. أحسنت يا "باربيه" .. هذا في الحق أبداع واشرف ما صنعت في حياتك ..

وكان القس يكاد يطير سرورا وهو يضم النفائس إلى صدره .. وغمغم والدموع تترقرق في عينيه :

- يا مسيو "باربيه" .. إنني لا اعرف كيف اشكرك ، فليجزك الله عني خير الجزاء .

بيد ان "جانيمار" لم يخطئ حين توقع حدوث مفاجأة فقد حدثت هذه المفاجأة بعد بضع دقائق .

لم يكد القوم يعوبون اوراقهم ويقتربون من بيت القس حتى ابصر البارون بعض خدمه ورجاله وقوفا بباب قصره وهم يناونهم ويطلبون إليه الإسراع .. فأسرع الرجل الخطى .. حتى وصل إليهم .. ولم يكد يسمع اول عبارة نطق بها كبير الخدم حتى أدرك مدى الكارثة التي نزلت به .. فهاجم على حظيرة السيارات .. فوجد بابها محطما ولم يجد في الداخل اي اثر لللاثا القديم النفيس والتحف الثمينة التي كان قد نقلها هناك تمهيدا لبيعها إذا فشلت مغامرته . كان هذا

الأثاث وتلك التحف ائمن ما بقي لديه .

صاح وهو يترنج :

- هذا مخيف ، متى سرقت كل هذه الأشياء ؟

فاجابه أحد الخدم :

- لابد أنها سرقت هذه الليلة ، فقد كانت الكلاب تنبح بشدة حوالي منتصف الليل .

- ولكن كيف استطاع اللص أو اللصوص أن يحملوا هذه .. ؟

- إنهم حملوا غنيمتهم في سيارة سيدي البارون ؟

- في سيارتي ، إذن فقد أخذوا السيارة كذلك ؟

كانت نكبة تضعضعت لها حواس البارون .. فسقط بين ذراعي القس الذي راح يعزيه في خسارته ويقول له بصوت عذب :

- إن عقاب الله لم يتأخر كثيرا يا سيدي المسكين ، فقابل المصيبة بجلد ، وبقلب مليء بالإيمان .

ورأى "جانيمار" وسمع وفهم كل شيء .. فنظر إلى "باربيه" وقد ضم قبضتيه كأنه يهم بالوثوب عليه ، ثم قال محدثا البارون :

- يجب أن نخطر رجال الشرطة بهذا الحادث يا سيدي البارون وأنا واثق بأنهم سيعثرون على المسروقات ويردونها إليك .

فقال "باربيه" وهو يبتسم :

- لاشك أن رجال الشرطة يستطيعون العثور على المسروقات ولكن المسألة هي أن إبلاغ الشرطة أمر خطر على البارون .

فاقترب "جانيمار" من "باربيه" وهو يحججه بنظرة تهديد .. وقابله هذا في منتصف الطريق وقال له وهو يتأبط ساعده :

- هل تعرف ماذا كان يحدث لولاي ؟ لولاي لصاعت نفائس القس إلى

الأبد . ولألقي "فرنيسون" المسكين في غيابة السجن .. ولعلمت زوجته بأمز زياراته الخفية لهذه القرية .

- قبحك الله ... إذا صادفتك في طريقي مرة أخرى فسوف ...

السندات المسروقة

كان أول ما فعله مسيو "جاسير" حين استيقظ من نومه أنه أرسل بصره إلى المنضدة القريبة من فراشه ، ليتحقق من وجود حزمة السندات التي جاء بها في المساء .

اطمان إلى وجودها حيث وضعها .. فنهض من فراشه .. وشرع يرتدي ثيابه.

كان مسيو "جاسير" رجلا قصير القامة بدين الجسم .. يشتغل بالمضاربات والأعمال المالية وقد استطاع بجده ونشاطه أن يكتسب عددا كبيرا من الزبائن الذين ائتمنوه على أموالهم .. فوضعوا بين يديه كل ما اندخروه . وراح هو يعمل على تنمية هذه الأموال .. ووفق في ذلك إلى أبعد حدود التوفيق بفضل نجاحه في بعض المضاربات الجريئة .. ويفضل الأرباح الباهظة التي كان يجنيها من إقراض المال . بالربا الفاحش .

وكان مسيو "جاسير" يقيم في الطابق الأول من منزل كبير ابتاعه منذ بضعة أعوام .. وكان هذا الطابق يتكون من غرفة للنوم وأخرى للاستقبال وثالثة للطعام ورابعة للعمل وخامسة لموظفيه الثلاثة .. ذلك عدا المطبخ والمغسل .

كان رجلا مدبرا شحيحا .. وقد عز عليه أن يدفع اجرة خادمة تقوم بتدبير شؤون البيت فاتفق مع حارسة الباب على أن تقوم بهذه المهمة ، وهي امرأة كبيرة الجسم نشيطة .. فكانت تحمل إليه رسائله في الصباح وتضع له طعام الفطور .. ثم تقوم بتنظيف البيت .. وتنصرف بعد ذلك إلى عملها الأساسي وهو حراسة الباب الخارجي .

ففي صباح ذلك اليوم قامت حارسة الباب بعملها كالمعتاد وانصرفت من بيت مسيو "جاسير" في منتصف الساعة التاسعة .. وبقي هذا الأخير وحده يتناول طعام الفطور ويانتظر قدوم موظفيه كالمعتاد .

تناول الرجل طعامه في هدوء وفض رسائله وقراها .. ثم راح يلقي نظرة على إحدى الصحف .

وبينما كان يفعل ذلك .. إذا به يسمع فجأة حركة في غرفة نومه فتذكر في الحال حزمة السندات التي تركها على المنضدة .. ووثب إلى غرفة النوم بسرعة .. وكانت نظرة واحدة إلى المنضدة كافية لأن تدله على أن حزمة السندات قد اختفت .

كان لغرفة النوم باب آخر يؤدي إلى السلم وقد اعتاد مسيو "جاسير" أن يبقيه مغلقا .. غير أنه لاحظ وهو يدخل الغرفة أن هذا الباب قد أغلق بعنف .. فهجم عليه .. وحاول أن يفتحه . ولكن الباب لم يكن يفتح إلا بالمفتاح . وقد اعتاد هو أن يحفظ المفتاح في برج مكتبه .. فكر الرجل في الأمر بسرعة .. وقال لنفسه : إذا أضعت الوقت في البحث عن المفتاح .. فر المجرم بدون أن يراه أحد .

قال ذلك وأسرع إلى النافذة التي تطل على الشارع ففتحتها ... واطل منها ليرى السارق إذا حاول الخروج .

وكان الشارع خلوا من المارة .. فاطمان مسيو "جاسير" إلى أن السارق لا يزال في المنزل .

وعلى الرغم من انزعاج الرجل وشدة ذعره وهلعه .. فإنه لم يفكر في الاستغاثة وطلب النجدة إلى أن رأى بعد دقيقة أو دقيقتين أحد موظفيه مقبلا من الشارع المجاور فصاح به :

- أسرع .. أسرع يا "سارلونية" .. ادخل المنزل وأغلق الباب ولا تدع أحدا يخرج .. إنني سرقت يا "سارلونية" والسارق لا يزال في المنزل . وما زال يطل من النافذة حتى رأى "سارلونية" يدخل المنزل ويغلق الباب . فتنفس بارتياح . وهبط السلم مسرعا .. ووجد "سارلونية" واقفا بجانب الباب .

سأله في لهفة :

- ألم تر أحدا يا "سارلونية" ؟

- كلا . لم أر أحدا يا سيدي .

- ألم يخرج أحد ؟

- لم يخرج احد .

فاصرع إلى حجرة حارسة الباب . فوجدها تشتغل بتنظيف حجرتها
فصاح بها :

- لقد سرقوني .. ألم يدخل احد حجرتك .. ألم يختبئ احد عندك ؟
فاجابت المرأة في زعر وجزع :

- يا مسيو "جاسير" .. لم يدخل عندي احد .

- هل انت واثقة ؟

- إنني لم أبرح هذه الحجرة منذ فرغت من تنظيف بيتك .

- ألم يخرج احد ؟

- لم يخرج احد .

فهتف مسيو "جاسير" :

- معنى هذا إذن ان السارق صعد السلم بدلا من أن يهبط . يا إلهي..
هذا مخيف .

قال ذلك وفتح الباب .. فرأى اثنين من موظفيه مقبلين .. فقص
عليهما ما حدث بعبارات مقتضبة ثم اصدر أوامره إلى موظفيه
الثلاثة بأن يمنعوا أي كائن من كان من الخروج أو الدخول إلى أن
يصدر إليهم أوامر أخرى .

ثم صعد إلى بيته مسرعا . وتناول سماعة التليفون وهتف :

- ألو .. ألو .. يا مدموازيل .. أريد الاتصال حالا بإدارة الشرطة .
إدارة الشرطة ؟ هل المفتش "جانيمار" موجود ؟ أريد التحدث إليه
بسرعة .. أنا "بيير جاسير" من رجال الاعمال .. ومسيو "جانيمار" من
عملائي . أريد الاتصال به حالا . ألو .. ألو .. اهذا انت يا "جانيمار" ؟
شكرا لله . نعم كل شيء على ما يرام ، أو على الأحرى ، كل شيء ليس
على ما يرام لقد سرقت سنداتى المالية . يستحيل عليك الحضور ؟ لأنك
حصلت على إجازة ؟ ولكن أي شأن لي بإجازتك ؟ احضر حالا ..
حالا.. فسنداتك قد سرقت ضمنا مع الحزمة التي فقدت من غرفتي !

وقد سب "جانيمار" وشتتم ووضع السماعة بعنف بل على مبلغ

اهتمامه وانفعاله فاطمان مسيو "جاسير" إلى أن مفتش الشرطة لن يبطئ في الحضور.

والواقع أنه لم تكد تنقضي بضع دقائق ، حتى وقفت بالباب سيارة وهبط منها "جانيمار" وهو منقلب السحنة . فصاح حالما وقع بصره على "جاسير" :

- سنداتي ؟ .. أين سنداتي التي ابتعتها بكل ما اخبرته من مال ؟

فاجاب مسيو "جاسير" :

- إنها سرقت مع سنداتي وسندات جميع زبائني ..

- سرقت ؟

- نعم .. سرقت من غرفتي منذ نصف الساعة .

- يا للشيطان .. وما الذي جاء بسنداتي إلى غرفتك ؟

- إنني سحبتها أمس من بنك "الكريدي لونييه" لأودعها اليوم في بنك

فرنسا ..

فألقي "جانيمار" على كتفه يدا من حديد وصاح :

-إنك المسؤول يا مسيو "جاسير" ..وعليك أن تدفع لي قيمة سنداتي ..

- ومن أين لي المال ؟ انني خربت .. افلست ..

- خربت ؟ افلست ؟ وهذا المنزل ؟ ألا تملك هذا المنزل .

- إنه مرهون من بابيه إلى سطحه ..

وقام بين الرجلين جدل عنيف .. فارتفع صراخهما .. وحدث في هذه

اللحظة أن فتاتين من سكان المنزل أرادتا الخروج فصاح "جانيمار" في

غضب :

- كلا .. يجب ألا يخرج احد .. يجب ألا يخرج احد قبل أن اجد

سنداتي ..

فقال مسيو "جاسير" مقترحا :

- هل تظن أننا سنحتاج إلى معونة ؟ إذا شئت فإنني أستعين

بصبي البقال أو صبي القصاب لمنع سكان المنزل من الخروج .

فاجاب "جانيمار" :

- كلا ، إننا لسنا بحاجة إلى معونة صبيان البقالين والجزارين ،

ولكن إذا كان لابد من الاستعانة بأحد ، فلاتصل تليفونيا في الحال
بمكتب "باربيه" المحامي ثم يجب كذلك إبلاغ الأمر إلى الشرطة ، ولكن
لا.. إن في هذا مضیعة للوقت ، يجب أن نشرع في العمل حالا ..
وحاول أن يملك نفسه ، ويسيطر على أعصابه ، ويقبض على زمام
الموقف .. ولكن ارتجاف شفثیه كان ينم عن اضطرابه وانفعاله . قال
محدثا مسیو "جاسیر" :

- يجب أن نعمل في هدوء وريانة ، إننا مازلنا نسيطر على الموقف ،
ولايزال في مقدورتنا أن نضع أيدينا على السندات قبل أن يستطيع
السارق تهريبها من المنزل . المهم ألا يخرج أحد .

ثم راح يستجوب الفتاتين .. فعلم أن إحدهما تشتغل بالكتابة على
الآلة الكاتبة .. وأن الثانية تعطي دروسا في العزف على البيان ..
وانهما تريدان الخروج لابتیاع حاجتهما من الطعام فقال لهما
"جانيمار" بإصرار :

- يؤسفني جدا أنني مضطر إلى منعكما من الخروج وسيبقى باب
هذا المنزل مغلقا طيلة هذا اليوم . يا مسیو "جاسیر" .. ضع اثنين من
موظفيك هنا لحراسة الباب .. وعلى الثالث أن يقوم بقضاء حوائج
سكان البيت .. وربما استطعت بعد الظهر أن أرخص للسكان بالخروج
وعندئذ يتعين تفتيش كل حزمة وكل علبة أو صندوق يخرج به أحد
السكان من المنزل .

والآن هلم بنا إلى العمل .

وهكذا بدأت عملية التحقيق والتفتيش .

كان المنزل يتكون من ثلاثة طوابق : يقيم مسیو "جاسیر" في أولها ..
ويقيم في الثاني مسیو "توفمون" عضو مجلس النواب ومن الوزراء
السابقين .

أما الطابق الثالث . فكان مقسما إلى قسمين .. تقيم في أحدهما
الآنسة "ليجوفيه" التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة . وتقيم في
الثاني الآنسة "هافلين" معلمة البيان .

وقد علم "جانيمار" من حراسة الباب أن مسیو "توفمون" خرج من
المنزل في منتصف الساعة التاسعة وقصد إلى مجلس النواب ليتولى

رئاسة إحدى اللجان البرلمانية ولا ينتظر أن يعود قبل الظهر .
ولذلك اضطر "جانيمار" إلى أن يؤجل تفتيش الطابق الثاني إلى أن
يعود النائب .. وقصد إلى الطابق الثالث ففتشه تفتيشا دقيقا ، ثم
فتش سطح المنزل والطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير" نفسه .. ولكن
بغير جدوى .

وحوالي الظهر ، عاد النائب "توفمون" وهو رجل وقور وسياسي
حازم اكتسب احترام جميع الأحزاب .

وقد اشتهر هذا الرجل بحافظة أوراقه الضخمة التي لا تفارقه أبدا
منذ كان وزيرا .. واشتهر كذلك بأنه قليل الكلام في مجلس النواب ..
ولكنه كان إذا تكلم أو وجه إلى الحكومة استجوابا .. ارتجف أعضاء
الوزارة إشفافا على كراسيهم .

دخل هذا الرجل المحترم البيت بخطى بطيئة متزنة .. ودلف إلى
حجرة حارسة الباب لياخذ رسائله .. فلحق به مسيو "جاسير" هناك ..
وسرد له تفاصيل حادث السرقة .

وقد اصغى إليه النائب باهتمام وواعد بأن يستخدم نفوذه لدى
رجال الشرطة إذا ابلغهم مسيو "جاسير" الأمر .. واصر على أن يفتش
القوم منزله .. قال:

- ومن يعلم .. ربما كان بعضهم قد استطاع أن يصنع مفتاحا
لشقتي وأن يخفي السندات المسروقة بين امتعتي .

فتعاون "جاسير" و"جانيمار" على تفتيش بيت النائب .. ولكنهما لم
يعثرا فيه على أثر للسندات ..

وأخيرا قرر الرجلان أن يتناولوا طعام الغداء في مطعم صغير يقع في
مواجهة المنزل .. وكان في استطاعتهما وهما في المطعم أن يرقبا باب
المنزل .

ولم يشعر "جانيمار" بقابلية الطعام إذ أفقده خسارة سندات كل
شهوة للطعام .. وكذلك كان حال مسيو "جاسير" الذي لم يفتأ يشكو
الدوار .. فترك الرجلان صحاف الطعام وراحا يقلبان المشكلة على
جميع وجوهها وكل منهما يحاول أن يجد عند الآخر ما يبعث على
الاطمئنان .

قال 'جانيمار' :

- إن المسألة غاية في البساطة .. فقد استطاع أحدهم أن يدخل غرفتك ويسرق السندات .. ولكن أحدا لم يبرح المنزل .. وهذا معناه بالتأكيد أن السارق لا يزال موجودا بالمنزل . وكذلك السندات ..

فهتف 'جاسير' :

- هذا صحيح !

- وأذن فسنداتي لاتزال في المنزل . اللهم إلا أن تكون قد طارت من إحدى النوافذ .. وهذا بالتأكيد ..

ولم يتم 'جانيمار' كلامه .. وارتسمت في عينيه فجأة علامات الذعر والرعب ..

راح يحملق نحو رجل راه يجتاز الشارع ويقترب من باب البيت .. غمغم قائلا :

- هو ذا 'باربيه' ، يا للشيطان ، ماذا جاء به إلى هنا ؟

فقال 'جاسير' في شيء من الاضطراب :

- ألم تقل لي أننا نستطيع الاستعانة بالمحامي 'جان باربيه' ؟ لقد شعرت بحرج الموقف ، ورايت أننا لا نخسر شيئا إذا اشركناه معنا في البحث ، فاتصلت به تليفونيا .

فصاح 'جانيمار' :

- ولكن هذا هو الجنون بعينه .. من ذا الذي يتولى التحقيق هنا ؟ أنا أم أنت ؟ .. إن 'باربيه' يجب ألا يكون له شأن معنا .. يجب ألا يدخل هذا المنزل .. هل فهمت ؟

إنه بخيل ينبغي لنا أن نحذره ، كلا ، كلا ، إنما نستعين بالثعابين ولا نستعين بهذا الرجل .

وشعر 'جانيمار' فجأة بأن الاستعانة بـ 'باربيه' في هذا الحادث خطر شديد لا تؤمن مغيبته . شعر بأنه إذا دخل المنزل ووضع إصبعه في الحادث ، واهتدى إلى مكان السندات ، فإنه لن يتردد في وضعها في جيبه خصوصا إذا علم أن بعض هذه السندات تمثل كل الثروة التي جمعها طيلة حياته .

استولى عليه الغضب ، فنهض مسرعا ، وعبر الشارع ، ووصل إلى

باب المنزل في الوقت الذي هم فيه "باربيه" بأن يقرر الباب .

قال له بصوت خافت ، ولكنه يرتجف غضبا وانفعالا :

- اذهب من هنا ، لسنا بحاجة إليك ، لقد اتصلوا بك خطأ ، اذهب .

فنظر "باربيه" إليه في دهشة وهتف :

- ماذا هناك أيها العزيز "جانيمار" ؟ أراك حائقا عليّ بلا مبرر ...

- لا عمل لك هنا . فانصرف ، وبأسرع ما يمكن .

- لابد إذن أن ما قيل لي تليفونيا صحيح ، وإذن فقد سلبوك أموالك

المخدرة أيها المسكين "جانيمار" ! الست بحاجة إلى مساعدة ؟

فصرخ "جانيمار" :

- قلت لك اذهب من هنا ، وبأسرع ما يمكن ، أنا أفهم معنى

مساعدتك ، إنك دائما تبدأ بمساعدة نفسك قبل أن تساعد غيرك .

- أخائف أنت على سندائك ؟

- نعم ، إذا وضعت إصبعك في الموضوع فلن أرى سنداتي أبدا .

- إذن دعنا من هذا الموضوع . واغرب عن وجهي .

- قلت لك إنني لا أسمح لك بالدخول .

- لست بحاجة لأن تسمح لي فإن لي عملا في هذا المنزل ، ولابد أن

ادخل .

وكان مسيو "جاسير" قد لحق بهما . فالتفت إليه "باربيه" وقال له :

- عفوا يا سيدي .. هل تقيم بهذا المنزل أنسة تشتغل بتعليم العزف

على البيان تدعى الأنسة "هافلين" ؟

فصاح "جانيمار" وهو يرتجف غيظا وحنقا :

- إنك لا تعرف هذه الأنسة ولا شأن لك بها ، إنك قرأت اسمها الآن

على هذه اللوحة النحاسية المثبتة على الجدار .

فقال "باربيه" :

- ماذا تعنى ؟ اليس من حقي أن اتلقى دروسا في العزف على البيان ؟

- تستطيع أن تتلقى ما شئت من الدروس في غير هذا المنزل .

- أنا أسف جدا .. ولكنني شغوف بدروس الأنسة "هافلين" .

- انني أمنعك منعا باتا من ..

فلم يعبا به "باربيه" .. بل قطب حاجبيه . وشق طريقه إلى المنزل

ودخل بـقدم ثابتة فشيعه "جانيمار" بنظرة قلق .. وراح يرقبه وهو يصعد السلم بدون أن يجسر على منعه .

ولا شك أن "باربيه" استطاع بسهولة أن يتفق مع الأنسة "هافلين" .. لأن جو المنزل ما لبث أن امتلا بانغام البيان .

غمغم "جانيمار" في غضب وقد تضاعف يأسه وخوفه على سنداته : - قبحه الله .. ماذا نستطيع أن نفعل مع هذا الشيطان ؟ ثم استأنف

العمل ففتش حجرة حارسة الباب وفتش سطح المنزل مرة أخرى . وظلت أنغام البيان تنبعث من الطابق الثالث بغير انقطاع . كانت أنغاما مزعجة لا توافق بينها ، فضرب "جانيمار" الأرض بـقدمه وغمغم في حنق :

- كيف يستطيع الإنسان العمل وسط هذه الضوضاء ؟ وحوالي الساعة السادسة ، صمت البيان ورأى "جانيمار" غريمه "باربيه" وهو يحاول الانصراف وفي يده علبة من الورق المقوى . علبة من الورق المقوى ؟ يا إلهي ! إن السندات في هذه العلبة بغير شك .

هجم عليه ، وانتزع العلبة من يده ، وفتحها ، لم يجد بها سوى بعض أوراق ممزقة .. وقبعات قديمة ، وقطعة من الفرو أكلها العث : قال "باربيه" في هدوء :

- لما كانت الأنسة "هافلين" لا تستطيع مغادرة المنزل ، فإنها توسلت إلي أن أحمل هذه الأشياء لألقي بها في صندوق المهملات والقاذورات . يا إلهي ! .. ما أجمل هذه الفتاة يا "جانيمار" .. وما أبرعها في العزف على البيان ! ..

إنها تعتقد أن استعدادي عظيم لتعلم العزف على البيان ، وقد أكتت لي أنني إذا واطببت على تلقي الدروس عندها فإنني أصبح في أقرب وقت أبرع من يستجدي بالعزف على البيان في الشوارع وعلى أبواب الكنائس .

وقضى "جانيمار" و"جاسير" طول الليل في حراسة المنزل . فرباط أحدهما في الخارج ورباط الثاني في الداخل ، لتفتيش من يريد الخروج وخوفا من أن يلقي السارق بحزمة السندات من إحدى

النوافذ لشريك له في الشارع .

وفي صباح اليوم التالي ، استأنف الرجلان العمل . ولكن بغير جدوى ..

وحوالي الساعة الثالثة .. أقبل "باربيه" حاملا في يده علبة الورق التي أفرغ محتوياتها في اليوم السابق .

وقع بصره على "جانيمار" فحياه بابتسامة وصعد السلم مسرعا .
وما هي إلا لحظة حتى بدأ درس البيان . وامتلا جو المنزل بالأنغام المزعجة .

ثم ساد السكون فجأة واستمر طويلا . فانار ذلك ريبة "جانيمار" واهتمامه .
قال لنفسه :

- ترى ماذا يفعل هذا الشيطان الآن ؟ لا شك انه يبحث عن سنداتي .
صعد السلم مسرعا .. والصق أذنه بباب الطابق الثالث وأصغى باهتمام .

لم يسمع أية حركة في شقة معلمة العزف على البيان ، ولكنه سمع صوتا خشنا منبعثا من شقة الفتاة التي تشتغل بالكتابة على الآلة الكاتبة .. قال لنفسه :
- هذا صوته ..

واستولى عليه فضول شديد لم يطق معه صبرا ، فطرق الباب .
وأجابه صوت "باربيه" من الداخل :
- ادخل .. فالباب مفتوح .

فدخل "جانيمار" .. ورأى الأنسة "ليجوفيه" - وهي فتاة سمراء على جانب عظيم من الجمال - جالسة امام الآلة الكاتبة .. و"باربيه" يملئ عليها كلاما . سأل "باربيه" :

- هل جلئت تتجسس علينا ؟ لا تتعب نفسك .. فالأنسة ليس عندها ما تخفيه .. وأنا كذلك .. إنني أملئ عليها مذكراتي .
ثم التفت إلى الفتاة وراح يملئ عليها :

"وفي ذلك اليوم .. فاجاني المفتش "جانيمار" في غرفة الأنسة "ليجوفيه" الحسناء ، التي عرفتها عن طريق معلمة البيان ، فشرع

يجيل الطرف في أنحاء الغرفة باحثا عن السندات المفقودة ، ولكنه لم يجد سوى حذاء قديم تحت أحد المقاعد فيا إلهي ، ما أشق مهنة رجال الشرطة !

فنظر إليه "جانيمار" شزرا ، وتركه وانصرف ، واستأنف "باربيه" إملاء مذكراته.

وبعد قليل ، هبط "باربيه" السلم ، متابطا تلك اللعبة المصنوعة من الورق ..

وراه "جانيمار" .. ووقف مترددا .

ترى ماذا يحمل الشقي في هذه اللعبة ؟

واشدد به الخوف فجأة. فاقترب من "باربيه" وتناول اللعبة وفتحها، ولكنه لم يجد سوى قصاصات من القماش وبعض جرائد قديمة .

وهكذا أصبحت حياة "جانيمار" لا تطاق .

كان منظر "باربيه" وهو يدخل ويخرج يثير غضبه وحنقه .. وكانت لعبة الورق التي لا تفارق "باربيه" كلما دخل أو خرج تثير ريبته وشكوكه ..

ولكنه لم يشأ أن يترك شيئا للظروف والمصائب . فراح يفتش اللعبة كلما راها خوفا من أن يستخدمها "باربيه" في تهريب السندات. وفي كل مرة كان "باربيه" يقهقه حتى يستلقي على قفاه .

وكانما أراد أن يزيد حنق مفتش الشرطة وغيظه وحيرته . فكان يقول له :

- إن السندات هنا . فتش عنها . تجدها .

واستمرت هذه الحالة اسبوعاً .. هو كل الإجازة التي حصل عليها "جانيمار". وقد قضى "جانيمار" هذا الأسبوع في نضال عقيم .. حتى صار موضع سخرية القوم في الحي كله .

ولم يعد في استطاعته هو ومسيو "جاسير" أن يمنعا سكان المنزل من الذهاب إلى أعمالهم .. وكل ما هنالك أن السكان سمحوا لهما بتفتيشهم كلما خرجوا .

وشاع أمر الكارثة التي نزلت بمسيو "جاسير" .. فاقبل عليه عملاؤه يطالبونه بأموالهم وودائعهم .. وازبحموا حوله في مكتبه ..

واصبحت الحالة في المنزل لا تطاق .

برم النائب "توفمون" بهذه المضايقات فنصح مسيو "جاسير" بإبلاغ
الامر إلى الشرطة .

وتخرج الموقف واصبح لا يطاق .

وفجأة .. حدث امر عجل بالنتيجة .. فقد سمع "جانيمار" و"جاسير"
بعد ظهر احد الايام ضجة شديدة في الطابق الثالث ووصلت إلى
أذانها صيحات نساء وسب وصخب . فصعدا إلى ذلك الطابق على
عجل .. وهناك وجدا الفتاتين "هافلين" و"ليجوفيه" وقد اخذت كل
منهما بخناق الاخرى وراحتا تتضاربان وتتساجران .. و"جان باربيه"
بينهما يحاول ان يفصل بينهما ويضع حدا للمعركة .

وقد نجح "باربيه" اخيرا في التفريق بينهما .. ولكن بعد ان تمزقت
ثيابهما وانكشف صدرهما .

واستولت على الانسة "ليجوفيه" نوبة عصبية . فحملها "باربيه"
إلى شقتها وبقيت "هافلين" وحدها أمام الباب . فراحت تنفث غضبها
وصاحت :

- إنني فاجاتهما معا .. فاجات "باربيه" وهو يقبلها .. لقد سرقته
مني لأنه غارزني أولا .. وأنا التي قدمته إليها .. وعرفته بها ..
إنه مخلوق عجيب غامض .. فسله يا مسيو "جانيمار" ماذا كان
يعمل هنا طيلة الأسبوع الماضي ؟ .. ولماذا يستجوبنا ؟ .. ويفتش هنا
وهناك .. نعم إنه يعرف سارق السندات .. وقد قال لي بلهجة التاكيد
إن حارسة الباب هي التي سرقَت السندات .. وطلب إلي الا اذكر ذلك
لكائن من كان .

هذا الرجل يعرف كل شيء .. ويعرف موضع السندات المسروقة ..
وقد قال لي مرة : إن السندات في المنزل وليست فيه" فاحذر هذا الرجل
يا مسيو "جانيمار" .. إنه

وفي هذه اللحظة .. أقبل "باربيه" فامسك بساعد "هافلين" ... ودفعا
إلى شقتها وهو يقول :

- تعالي يا "معلمتي" . لا تتكلمي فيما لا علم لك به .. إنك لا تجيبين
شيئا غير العزف على البيان .. اما ما عدا ذلك فإنك تتخطين .

ولم ينتظر "جانيمار" أكثر من ذلك .. فقد أضاعت كلمات "هافلين" السبيل أمامه .

نعم .. لم يكن ثمة شك في أن حارسة الباب هي التي سرقت السندات فكيف لم يخطر له ذلك ببال ؟
استولى عليه الحنق .. فهبط السلم مسرعا .. ومسيو "جاسير" في أثره .

وقد وجدا حارسة الباب في حجرتها .. فصرخ "جانيمار" في وجهها :
- أين سنداتي ؟ أين أموالي ؟ إنك التي سرقت السندات . وصاح "جاسير" :

- ماذا فعلت بالسندات أيتها اللصة ؟

أحاطا بالمرأة .. وأمسكا بساعديها .. وراحا يمطرانها وأبلا من الأسئلة والشتائم .. والمرأة التعسة ترتجف بين أيديهما ولا تجد ما تقوله .

وهكذا مرت بحارسة الباب ليلة مخيفة .. أعقبها يومان حافلان بالمتاعب والأسئلة والسب والصخب ، ولم يتطرق قط إلى نهن "جانيمار" أن "باربيه" أخطأ في اتهام المرأة التعسة ، خصوصا أنه وجد أن هذا الاتهام يفسر كثيرا مما غمض عليه .

والواقع ، أن حارسة الباب هي المخلوقة الوحيدة التي كان في استطاعتها أن ترى حزمة السندات فوق المنضدة ، وهي كذلك المخلوقة الوحيدة التي تحتفظ في حجرتها بمفاتيح مزدوجة للطابق الذي يقيم به مسيو "جاسير" فمن البديهي إذن وهي التي تعرف عادات مسيو "جاسير" وطباعه كما لا يعرفها سواها أن تكون قد انتهزت فرصة وجوده في مكتبه ففتحت الباب الخارجي لغرفة نومه ، وحملت رزمة السندات وانطلقت بها إلى حجرتها حيث وجدها مسيو "جاسير" هناك فيما بعد .

قال "جانيمار" في يأس :

- لا شك في أن هذه التعسة هي سارقة السندات ، ولكن سواء أكانت هي السارقة أم كان سواها فالمهم أن نجد السندات .
أنا أقرر أنها حملت السندات إلى حجرتها ، ولكن باية معجزة

استطاعت أن تخفي السندات خلال المدة بين الساعة التاسعة صباحا - أي موعد السرقة - والساعة الواحدة وهو الوقت الذي فلتشنا فيه حجرتها ؟

هذه هي المعضلة الحقيقية .

وعبثا حاول "جانيمار" أن يحمل المرأة على الكلام .
سألها في رفق .. وهديها وتوعدها .. ولكن بغير جدوى ... لأنها
أصرت على الإنكار التام .. فهي لم تر شيئا .. ولا تعلم شيئا .
وفي صباح أحد الأيام قال مسيو "جاسير" محدثا "جانيمار" :
- يجب أن نصل إلى نتيجة مهما كلفنا ذلك ولعلك قرأت في الصحف
أن النائب "توفمون" استطاع بالأمس أن يسقط الوزارة .. وسوف
يزحم المنزل اليوم بالصحفيين الذين يريدون مقابله .. والتحدث إليه
وليس في استطاعتنا كما تعلم أن نفتش رجال الصحافة كما تعوبنا
تفتيش سكان المنزل .

وهنا اعترف "جانيمار" بأن الموقف أصبح لا يحتمل . وقال محدثا
مسيو "جاسير" بلهجة التاكيد :
- ساعرف الحقيقة كلها بعد ساعة .

وبعد ساعة .. كان "جانيمار" يطرق باب مكتب "جان باربيه" . قال له
المحامي وعلى شفثيه ابتسامة المشفق :
- كنت أنتظرك يا "جانيمار" فماذا تريد ؟

- أريد مساعدتك .. فقد عجزت عن حل هذا اللغز الذي ضاعت فيه
أموالي .. كان مفتش الشرطة صريحا .. فائرت صراحته في نفس
المحامي واعتبر هذا الاعتراف خير ترضية عن الإهانة التي لحقته من
"جانيمار" .

نهض "باربيه" واقفا .. ووضع يده بلطف على كتف "جانيمار" .. ولم
ينظر إلى وجهه لكيلا يشعره بمذلة العجز والهزيمة .
كانت المقابلة بينهما مقابلة زميلين تصافحا .. لا مقابلة بين منتصر
ومنهزم .. قال "باربيه" :

- الواقع يا عزيزي "جانيمار" أن سوء التفاهم بيننا يؤلمني أشد الألم
.. فنحن رجالن يجب أن يتزاملا .. ويتعاونوا بدلا من أن يناصب كل

منهما الآخر العداء ..

فاطرق "جانيمار" راسه ..

كان ضميره يؤنبه على انه صادق "باربيه" .. وعلى ان الاقدار أرغمته على زمالة هذا الرجل الذي يرتاب فيه بالغريزة ويرتاب في وسائله ومراميه . بيد ان هناك ظروفًا وعوامل تبيح للشرفاء ان يصموا اذانهم عن سماع صوت الضمير .. ومن هذه العوامل ان يفقد الإنسان كل ما اخره في الحياة .. ثم لا يجد بدا لاسترداد امواله المفقودة من ان يضع يده في يد شخص مريب مشكوك في ذمته .

اصم "جانيمار" اذنيه عن صوت ضميره . وغمغم قائلا :

- إن حارسة الباب هي التي سرقت السندات . اليس كذلك ؟
فاجاب "باربيه" :

- بلى .. إنها هي .. لسبب واحد .. هو انه لم يكن في مقدور احد سواها ان يسرق السندات .

- ولكن كيف لهذه المرأة التي اشتهرت بالامانة ان تقدم على مثل هذه الفعل ؟

- لو انك كلفت نفسك مئونة البحث والتغلغل في اسرار حياتها لعلمت ان لهذه المرأة التعسة ولدا مسرفا متلافا يجربها من كل اموالها . ويرهقها بمطالبه . وقد انحدرت المسكينة إلى هوة الجريمة واصغت إلى إغراء الشيطان لإرضاء ولدها .
فسال "جانيمار" وهو يرتعد :

- وإن فقد اخذ ابنها سنداتي . ويعثر ثمنها ؟

- لا .. لا .. ما كان لي قط ان اسمح بذلك .. إن سنداتك شيء مقدس يا "جانيمار" .

- أين هي إذن ؟

- في جيبك .

- كفى هذا يا "باربيه" .

- إنني لا أهزل في موطن الجد يا "جانيمار" .. ابحث في جيبك تجد سنداتك .

واشار إلى احد جيوب "جانيمار" ، فدس هذا يده في جيبه بشيء من

الخلجل . واخرج منه غلافا قرا عليه هذه الكلمات : إلى صديقي
"جانيمار" ..

وفض "جانيمار" الغلاف بإصبع ترتجف ..
كان واثقا بأن "باربيه" بس الغلاف في جيبه عقب دخوله مباشرة .
ولكن ترى ماذا يتضمن هذا الغلاف ؟

أخرج منه طائفة من الأوراق عرف فيها سندات المفقودة فاعرورقت
عيناه بالدموع واستحال "باربيه" في نظره فجأة إلى قديس .
أخذ يثب في الغرفة كالمجانين .. ويرقص ويغني ويهتف :
- سنداتى . إنك رجل عظيم يا "باربيه" لا يوجد في العالم سوى
"باربيه" واحد هو "جان باربيه" الذي أنقذ أموال "جانيمار" ... إنك
تستحق أن يقام لك تمثال يا "باربيه" . أنت بطل . ولكن حدثني كيف
نجحت ؟ . كيف استطعت استردادها ؟

اطمان "جانيمار" على سندات . وثار في نفسه فضول المهنة .. أراد
أن يعرف كيف نجح "باربيه" حيث فشل هو ؟ .
قال :

- تكلم يا "باربيه" . ماذا فعلت ؟

- فعلت ماذا ؟

- أعني كيف وجدت حزمة السندات ؟ وأين وجبتها ؟

فاجاب "باربيه" مداعبا :

- إنها كانت في المنزل . ولم تكن فيه .

فهتف "جانيمار" بلهجة التوسل :

- تكلم بالله ماذا فعلت ؟

- هل تعترف بعجزك ؟

- نعم .

- وهل تعدني بالا تنظر إلي بعد الآن تلك النظرات المريبة التي
تجعلني أعتقد في بعض الأحيان أنني ضللت عن سواء السبيل ؟

- تكلم يا "باربيه" تكلم . فهتف "باربيه" :

- يا لها من قصة طريفة ! أؤكد لك يا عزيزي "جانيمار" أنها ستثير
دهشتك وعجبك . إنني لم أسرد في حياتي قصة أعجب منها . على أن

اللغز فيها بسيط غاية البساطة . وإنني لأعجب كيف لم تهتد إلى معرفته وأنت ذلك الشرطي البارع ذو الماضي المجيد ؟
فصاح "جانيمار" في ضجر :

- وأخيرا .. ألا تريد أن تتكلم ؟ كيف خرجت حزمة السندات من المنزل ؟

- إنها خرجت تحت أنفك وبصرك يا عزيزي "جانيمار" .. ولم تخرج منه فقط بل عادت إليه كذلك . كانت تخرج من المنزل وتعود إليه مرتين على الأقل كل يوم .. وقد قضيت عشرة أيام وأنت تحني أمامها قامتك باحترام كلما خرجت أو دخلت . فصاح "جانيمار" :

- هذا غير معقول .. لقد فتشت كل إنسان خرج من المنزل .

- نعم يا عزيزي "جانيمار" .. إنك فتشت كل إنسان وفتشت كل علبة وكل حزمة .. وكل صندوق أخرج من المنزل ... ولكنك لم تفتش المكان الوحيد الذي كانت توجد به السندات .

إن موظفي الجمارك على الحدود يفتشون جميع المسافرين ... ويفحصون جميع الأمتعة .. ولكنهم لا يفتشون حقائب رجال السلك السياسي .. وذلك ما فعلته أنت .. فإنك فتشت كل شيء إلا الشيء الذي وضعت به السندات .

فهتف "جانيمار" في ضجر :

- إنني لا أفهمك . عن أي شيء تتكلم ؟

- عن حافظة أوراق حضرة الوزير السابق .. والنائب المحترم مسيو "توفمون" .

فصاح "جانيمار" وهو يقفز من مقعده :

- فإذا تقول يا "باربيه" ؟ هل اتهم النائب "توفمون" ؟

- أنت مجنون يا "جانيمار" . هل تعتقد أنني استبيح لنفسي اتهام

نائب محترم ؟

يجب أن تذكر قبل كل شيء أن القانون يضع حضرات النواب المحترمين فوق كل اتهام وكل شبهة . على أنه إذا كان هناك بين النواب والوزراء السابقين رجل جدير بالا ترتفع إليه الشبهات والريب فهذا الرجل هو مسيو "توفمون" .

- هل تعتقد إذن أنه كان شريكا ؟

- لا ..

- من تتهم إذن ؟

- من اتهم ؟

- نعم ..

- إنني اتهم حافظة اوراق النائب "توفمون" .

وابتسم وصمت لحظة ثم استطرد :

- إن حافظة اوراق وزير سابق ونائب حالي هي ذاتها شخصية مهمة

يا "جانيمار" . فامامنا الآن مسيو "توفمون" وامامنا حافظة اوراقه والاثنان كل لا يتجزأ . وليس في الاستطاعة ان تتصور مسيو "توفمون" بلا حافظة اوراقه او تتصور حافظة الاوراق بلا مسيو "توفمون" .. ذلك لان احدا منهما لا يفترق عن الآخر و يحدث في بعض الاحيان فقط ان يضع مسيو "توفمون" حافظة اوراقه جانبا لكي يتناول طعامه مثلا او لكي ينام .. وفي هذه الحالة تصبح حافظة اوراق مسيو "توفمون" شخصية مستقلة يوسوس لها الشيطان في بعض الاحيان فتقدم على اعمال لا يمكن ان يعتبر مسيو "توفمون" مسؤولاً عنها .. وذلك بعينه ما حدث يوم سرقت حزمة السندات ..

وهنا نظر "جانيمار" إلى "باربيه" في دهشة . وسال نفسه : ترى ماذا يريد ان يقول ؟ وإلى اي غرض يرمي ؟

استطرد "باربيه" :

- نعم .. هذا ما حدث يوم سرقت حزمة السندات وضاعت اموالك . بعد ان استولت حارسة الباب على السندات ازعجتها جريمتها وراعها الخطر الذي يتهدها . وبينما هي تفكر في طريقة للتخلص من الغنيمة التي توشك ان تجر عليها الدمار وسوء السمعة ، إذا بها ترى فجأة حافظة اوراق مسيو "توفمون" موضوعة على نافذة حجرتها . وكان مسيو "توفمون" قد دخل حجرتها لياخذ رسائله فوضع حافظة اوراقه على النافذة وراح يفض اغلفة الرسائل . وفي هذه اللحظة لحقت به انت ومسيو "جاسير" وشرعتما تسردان عليه تفاصيل حاث

السرقه .

وبينما كان الرجل يصغي إليكما في صبر واناة ، تفتق ذهن حارسه الباب عن فكرة فذة .

كانت قد وضعت حزمة السندات على قاعدة النافذة وأخفتها تحت طائفة من الجرائد القديمة ، ولم يكن احد قد فتش حجرتها بعد . ولكنها كانت واثقة بان الحجرة ستفتش عاجلا او أجلا فاقتربت من النافذة بدون ان يشعر بها احدكم وأخرجت حزمة السندات من مخبئها ودستها في حافظة اوراق النائب "توفمون".

وهكذا انصرف النائب من حجرة حارسه الباب متابطا سنداتك وسندات مسيو "جاسير".

اصغى "جانيمار" إلى هذا الإيضاح ، بدون ان ينطق بكلمة اعتراض . كان يعلم ان "باربيه" إذا تكلم بلهجة التاكيد وجب تصديقه . قال :

ولكن .. الم يلاحظ مسيو "توفمون" وجود حزمة السندات في حافظة اوراقه ؟

- نعم لم يلاحظ ..

- كيف ذلك ؟ إنه متى فتح الحافظة ..

- ولكنه لم يفتح الحافظة ولا يفتحها أبدا . إن حافظة اوراق مسيو "توفمون" كغالبية حوافظ رجال السياسة ليست في الواقع إلا خدعة ومظهرها من مظاهر التهديد ، فلو أنه فتحها ، إذن لوجد بها السندات . - ولكن لابد له في أثناء العمل من ان يفتح الحافظة .

- إنه لا يعمل ولا يفتح الحافظة ، ووجود الحافظة ليس شرطا للعمل ، وأكثر الساسة يقنعون بحافظة الأوراق بدون العمل ، ذلك لان الحافظة في ذاتها تمثل العمل ، وتمثل القوة ، والنفوذ .

عندما صعد مسيو "توفمون" إلى منبر الخطابة أمس - وقد كنت موجودا آنذ في مجلس النواب - حمل معه حافظة اوراقه فيارتجف الوزراء ، وقالوا لأنفسهم: "إن حافظته مكسدة بالاوراق ، مليئة بالأرقام والإحصائيات".

وقد بسط مسيو "توفمون" الحافظة امامه ، ولكنه لم يتناول منها

شيئا .

ثم راح يتكلم ، ويضرب بيده بين الفينة والفينة على حافظة أوراقه ، كمن يقول : " الوثائق هنا ، وهنا الالة على صحة ما أقول " في حين لم يكن بالحافظة سوى سندات "جانيمار" ، وسندات "جاسير" وطائفة من الصحف القديمة .

تكلم إذن مسيو "توفمون" ، وراح يؤيد كلامه بالضرب على حافظة أوراقه ، وكان في ذلك الكفاية .

وهكذا أسقطت حافظة مسيو "توفمون" الوزارة ..
- ولكن كيف علمت كل ذلك ؟

- علمت ذلك عقب انصراف مسيو "توفمون" من مجلس النواب بعد أن قرر المجلس بأغلبية الاصوات عدم الثقة بالوزارة ... فقد قصد مسيو "توفمون" إلى منزله سيرا على القدمين ، وبينما هو في طريقه إذا براكب دراجة يصطدم به وإذا بالنائب المحترم يسقط على الأرض .. وإذا بحافظته الخطيرة تطير من يده ..

وفي هذه اللحظة .. خرج من أحد الأزقة شريك لصاحب الدراجة .. فتظاهر بمساعدة النائب المحترم .. وانتهاز الفرصة وأخذ حزمة السندات من الحافظة .. ووضع مكانها حزمة من قصاصات الورق .
ولست بحاجة لأن أذكر لك اسم هذا الشريك . وهنا أغرق "جانيمار" في الضحك .

لم يسعه - بعد أن أطمأن على سندات - إلا أن يرى الجانب المضحك من المأساة ، وإلا أن يضحك ملء فمه .
استطرد "باربيه" قائلا :

- هو ذا كل السر أيها الصديق العزيز .. ولكي أقف على كل هذه الحقائق .. رايت لزاما علي أن ادخل المنزل ، وأن أملي مذكراتي ، وأتلقى دروسا في العزف على البيان . ولا أكتفك أنني وجدت في هذا الحادث من المتع ما لا أجده في سواء .. فقد استمتعت في الطابق الثالث بمغازلة فتاتين لا تقع العين على أجمل منهما ، واستمتعت في الطابق الثاني بمنظر مسيو "توفمون" ، وهو يروح ويغدو كالمغفل والسندات تحت إبطه ، ثم استمتعت بمراى العزيز "جانيمار" ،

وصديقه "جاسير" وهما يحرقان الأرم غيظا .

على أن موقف حارسة الباب هو بغير شك من أعجب المواقف . فهي ترى الآن في مسيو "توفمون" محتالا من أخط المحتالين ، وتعتقد أنه وجد السندات في حافظة أوراقه فاستولى عليها ولزم جانب الصمت . فسأله "جانيمار" :

- هل يجب أن أخطره ؟

- ولماذا ؟ دع الرجل مرتاح البال يروح ويجيء وقصاصات الورق تحت إبطه، كلا يا "جانيمار" ، يجب ألا تبوح لكائن من كان بكلمة واحدة مما ذكرت لك .

- ما عدا مسيو "جاسير" .. إذ يجب أن نخطره بما حدث ونرد إليه سندات .

- أي سندات ؟

- سندات التي سرقت منه ووجدتها أنت في حافظة مسيو "توفمون" .
- أه .. أنت مخطئ يا عزيزي "جانيمار" .. إنك لا ترى الأشياء على وجهها الصحيح ، هل تعتقد أنني سارد إليه شيئا ؟
- بالتأكيد .. سندات .

فضرب "باربيه" المكتب بيده وقال بحدة :

- هل تعرف من هو "بيير جاسير" يا "جانيمار" ؟ إنه شقي أليم لا يفترق في شيء عن ابن حارسة الباب . إنه لص محتال عرف كيف يسرق عملاء وكيف يعبت بأموالهم . وادهى من ذلك أنه كان يتاهب للفرار بأموال عملائه وودائعهم . خذ وانظر . ها هي ذي تذكرة سفر إلى "بروكسل" بتاريخ اليوم الذي سحب فيه السندات من البنك لا ليودعها بنك "فرنسا" كما زعم .. ولكن ليفر بها .. فما قولك في ذلك يا "جانيمار" ؟

فصمت "جانيمار" ..

كانت ثقته بـ "جاسير" قد تزعزعت عقب سرقة سندات بيد أنه قال :
- ولكن للرجل عملاء أماء ليس من الإنصاف حرمانهم من أموالهم والانحدار بهم إلى هوة الخراب والإفلاس .
- إنهم لن ينحدروا إلى هوة الخراب والإفلاس . لا .. أنا لا أرضى

لهم مثل هذا الغبن .

- إذن ؟

- إن "جاسير" رجل غني .

- بل إنه أصبح لا يملك سنتيما واحدا .

- أنت مخطئ يا عزيزي "جانيمار" . فقد دلتني أبحاثي والمعلومات التي استقيتها من مصادر موثوق بها على أن الرجل غني وفي استطاعته أن يرد إلى عملائه أموالهم .

وبهذه المناسبة يجب أن تعلم أنه إذا لم يكن قد أبلغ الشرطة بالحدث منذ البداية فليس ذلك إلا لأنه يخشى أن يضع رجال القانون إصبعهم في أعماله . فتظهر لهم فضائحه .. لا يا عزيزي "جانيمار" . إن "بيير جاسير" يملك مالا وفيرا . إنه مليونير فيجب عليه إذن أن يكفر عن أخطائه ..

- هل أفهم من ذلك أن في نيتك الاحتفاظ بـ ..

- الاحتفاظ بالسندات ؟ . لا . أبدا . إنها بيعت بالفعل .

- بالتأكيد .. ولكن هل تنوي الاحتفاظ بثمانها ؟

فنظر إليه "باربيه" باشمزاز وتبرم وأجاب :

- لا .. إنني لن احتفظ بها دقيقة واحدة .

- ماذا ستفعل بها إذن ؟

- سأوزعها ..

- توزعها ؟

- نعم .. سأوزعها على المعوزين وعلى الجمعيات الخيرية فاطمن يا

عزيزي "جانيمار" . اطمئن وثق بإنني سأنفق نقود "جاسير" في خير وجوه الإنفاق .

فهز "جانيمار" رأسه بارتياح .

لاحظ أن هذا الحادث قد انتهى كغيره من الحوادث ، وإن "باربيه" قد عاقب المنذب ، وإنقاذ البريء ، ولكنه لم يش نفسه ، وأحمر وجهه ..

وجد أن السكوت في هذا الموقف معناه التستر على الجريمة ولكنه من ناحية أخرى أحس بالسندات في جيبه وشعر بما لـ "باربيه" من فضل في إعادتها إليه .

سأله "باربيه" :

- ماذا بك ؟ هل أنت غاضب ؟

- لا .. لا .. لست غاضباً .

- إذن فأبتسم .

- فلم ينسح "جانيمار" إلا الابتسام .

قال "باربيه" وهو يمد إليه يده :

- يسرني أنني استطعت أن أؤدي لك إحدى الخدمات والآن إلى

اللقاء أيها الصديق ، ومعذرة ، لقد أضعت الكثير من وقتك الثمين ، ثم

إنني على موعد هنا مع إحدى السيدات ..

فقال "جانيمار" وهو يقصد إلى الباب :

- إلى اللقاء إذن ..

وانصرف "جانيمار" ، وهو مثقل الجيب والضمير .

وما كاد يصل إلى الباب ، حتى صادف فتاة سمراء عرف فيها في

الحال الأنسة "ليجوفيه" الحسناء .

كانت هي بغير شك "السيدة" التي ينتظرها "باربيه" .

وبعد يومين .. وقع بصر "جانيمار" على "باربيه" وهو يدخل داراً

للسينما وبرفقتة "هافلين" الحسناء .

اللوكة السوداء

دوى طرق عنيف على باب المنزل رقم ٩ بشارع "هوش" . فاستيقظت حارسة الباب وقالت في ضجر وتبرم :

- اعتقد أن جميع سكان المنزل قد عادوا من الخارج .. ترى من الطارق ؟ إن الساعة الآن الثالثة صباحا على الأقل .
فاجاب زوجها :

- ربما كان بعضهم يريد مقابلة الطبيب .
وقد صدق حدس الرجل لأن زوجته ما كادت تفتح الباب حتى سالها الطارق :

- في اي طابق يقيم الدكتور "هاريل" ؟
فاجابت حارسة الباب :
- إنه يقيم في الشقة اليسرى بالطابق الثالث . ولكنه لا يقابل احدا في اثناء الليل . ولا يبرح منزله ابدا في مثل هذه الساعة .
فقال القادم :

- ولكن يجب في هذه الليلة أن يزج نفسه قليلا .
قال ذلك وبخل المنزل . وراح يصعد السلم مسرعا .
مر بالطابق الاول والثاني . وبلغ الطابق الثالث حيث يقيم الدكتور "هاريل" .

ولكنه لم يتريث ، بل استأنف صعود السلم حتى وصل إلى الطابق الخامس، وهناك وقف امام أحد الابواب . واخرج من جيبه مفتاحين راح يعالج بهما الباب حتى تمكن من فتحه .. وقال لنفسه :

- هذا بديع .. لقد اصبحت المهمة ميسورة . ولكن يجب أن نطمئن أولا على طريقة الخروج . ترى هل المدة التي انقضت حتى الآن كان فيها الكفاية لأن اطرق باب الطبيب واطلب مقابلته فيرفض أن يقابلني ؟ لا ، لايزال امامي متسع من الوقت .

وبعد عشر دقائق هبط صاحبا السلم .. وقصد إلى الباب الخارجي،

ومر بحجرة حارسة الباب وجعل يسب الطبيب ويشتمه زاعما أنه رفض مقابلته .

ثم فتح الباب الخارجي وبأسرع من لمح البصر دس في قفل الباب قطعة من الحديد .

خرج بعد ذلك واغلق الباب وراءه بشدة فأحدث الباب ضجة ، ولكنه لم يغلق نظرا لوجود قطعة الحديد في القفل وتريث الرجل في الخارج لحظة .. ثم عاد ادراجه ففتح الباب في هدوء . ودخل بدون أن يحدث أية جلبة .. واجتاز فناء الدار بدون أن تراه حارسة الباب . وهكذا اطمأن إلى سهولة الفرار من الباب الخارجي فيما لو فاجأه مفاجئ .

صعد الرجل السلم مرة أخرى حتى بلغ الطابق الخامس ... فتسلل من الباب الذي كان قد نجح في فتحه ثم أخرج من جيبه مصباحا كهربائيا صغيرا وأضاءه ورأى على ضوءه أنه في دهليز صغير . فخلع قبعته ومعطفه ووضعهما على أحد المقاعد وجلس على مقعد آخر واجاط حذاءه بغطاء من الصوف لكيلا يسمع لوقع قدميه صوت .. ولما فرغ من ذلك تنفس الصعداء وقال : حمدا لله .. اعتقد أن كل شيء سينتهي على ما يرام في هذه المغامرة الموفقة .

إنني أتساءل في الحق لماذا لا يحترف جميع الناس مهنة اللصوصية ؟ إنها مهنة بسيطة ومريحة .. ولا تتطلب أكثر من بعض الخفة واللباقة وسرعة الخاطر .

إنها مهنة الشخص الذي يريد الراحة والرفاهية ..

قال ذلك ثم بسط أمامه ورقة عليها رسم تخطيطي للشقة واستطرد : لنبدأ الآن بتطبيق هذا الرسم على الواقع . ها هو ذا المستطيل الذي يمثل الدهليز الذي أنا به الآن . وها هي ذي قاعة الاستقبال وغرفة النوم وقاعة الطعام .. كلها تطل على الشارع . فمن العبث إذن إضاعة الوقت في هذه الناحية .

والواقع أن ترتيب الغرف لا يدل على أن الكونتس تمتاز بنوق سليم . وأخيرا .. ها هو ذا الدهليز الذي يوصل إلى غرفة الثياب وهي الغرفة التي يفصلها عن مخدع الكونتس باب صغير ، وباب هذه

الغرفة لا يبعد عن هنا سوى مسافة ثلاثة أمتار ، كل هذا حسن ، لقد فهمنا الآن أين نحن وماذا يجب أن نفعل .

قال ذلك وطوى الورقة ووضعها في جيبه ثم سار في الدهليز وهو يحصي المسافة : متر . متران . ثلاثة أمتار . ها هو ذا باب غرفة الملابس .. يا إلهي كم أنا موفق الليلة لو علم "جانيمار" بكل هذا لاعترف بانني رجل موفق على طول الخط . هانذا أمام باب ليس أيسر من فتحه . نعم إن نصفه الأسفل مصنوع من الزجاج وفي الاستطاعة إزالة هذا الزجاج ودخول الغرفة بدون أن نضطر إلى فتح الباب . قال ذلك وأخرج من جيبه الأدوات الضرورية لرفع قطعة الزجاج التي تغطي النصف الأسفل من الباب . ولكن خطر له فجأة خاطر فقال لنفسه .

- ولكن إذا افترضنا أن الكونتس نسيت أن تغلق هذا الباب أفلا يوفر علينا ذلك مهمة إزالة الزجاج . وهي عملية لا تخلو من الخطر فيما إذا سقط لوح الزجاج داخل الغرفة وتحطم ؟ قال ذلك وعالج مقبض الباب ففتح في الحال .

قال لنفسه : يا عزيزي "لوبين" إن الحظ يحالفك ويتأمر معك . ويضع أمامك جميع التسهيلات ماذا ينقصك الآن ؟ إنك تعرف موقع كل ركن وكل قطعة من الأثاث في هذه الشقة وتعرف المكان الذي تخبئ فيه الكونتس "اللؤلؤة السوداء" ، ولكن لكي يتسنى لك الاستيلاء على هذه اللؤلؤة يتعين عليك أن تكون أهدأ من الهدوء وأخفى من الخفاء .

وقضى "أرسين لوبين" نصف الساعة تقريبا في معالجة الباب الموصل بين غرفة الملابس ومخدع الكونتس . واستطاع أخيرا أن يفتحه بدون أن يحدث أية جلبة من شأنها أن تزعج الكونتس حتى ولو لم تكن نائمة .

كان يعلم من الرسم الذي بجيبه أنه لم يبق عليه إلا أن يسير لصق مقعد كبير ينتهي به إلى مقعد آخر صغير .. ثم إلى منضدة صغيرة قريبة من الفراش . وهناك على المنضدة يوجد صندوق ورق الرسائل وقد وضعت الكونتس بداخله تلك اللؤلؤة السوداء الثمينة .

تمدد "لوبين" على الأرض .. وراح يزحف لصق المقعد الكبير ولكنه لم

يكد يصل إلى طرفه الأخير حتى كف عن الحركة وهو لاهث الأنفاس خافق القلب .

نعم .. وثب قلبه بين ضلوعه فجأة فاستحال عليه أن يتغلب على الاضطراب الذي يستولي على الإنسان عادة وسط مثل هذا الظلام الحالك والسكون العميق .

وقد دهش "لويين" لهذا الاضطراب الفجائي الذي لم يشعر قط بمثله وهو في مواقف أشد من هذا حرجا .

بيد أنه لم يكن هناك أي خطر يهدده فلماذا الاضطراب إذن ؟ ولماذا يخفق قلبه بمثل هذه الشدة حتى ليكاد يثب من حلقه ؟

ترى .. هل السبب في ذلك أنه يشعر بوجود "الكونتس" بالقرب منه ؟ أرهف أذنيه وخيل إليه أنه يسمع بالقرب منه تردد أنفاس هادئة منتظمة، فاطمان كما يطمئن الإنسان إلى وجود صديق معه في الظلام . بحث عن المقعد الصغير حتى وجده . ثم مد يده باحثا عن المنضدة فمست أصابعه إحدى قوائمها .

لم يبق عليه بعد ذلك إلا أن ينهض واقفا ويحمل اللؤلؤة السوداء ويلوذ بالفرار .

شعر بالارتياح حين خطرت له فكرة الفرار والخروج من تلك الغرفة الصامتة المظلمة . ذلك لأن قلبه كان قد بدأ يخفق من جديد ويخفق بشدة حتى خيل إليه أن من المستحيل ألا تسمع الكونتس نبضات قلبه فتستيقظ من نومها .

بذل جهود الجبابة ليسيطر على شعوره وأعصابه ولكنه ما كاد يهم بالوقوف حتى مست يده شيئا على الأرض تبين في الحال أنه شمعدان ملقى هناك ، فبسط يده مرة أخرى ومست شيئا آخر تبين أنه ساعة صغيرة . قال لنفسه :

- يا إلهي . ترى ماذا حدث ؟ ومن الذي القى بالشمعدان والساعة على الأرض ؟ ولماذا لم يوضع هذان الشيئان في مكانيهما الطبيعيين ؟ وفجأة افلقت من بين شفثيه صيحة نعر ذلك لأنه مس شيئا .. شيئا غريبا . مخيفا . ولكن لا .. لا بد أن ذهنه المضطرب بتأثير الخوف قد صور له هذا الشيء .

وانقضت عشرون ثانية .. وثلاثون وهو واقف في مكانه لا يتحرك وقد استولى عليه الذعر وتصيب العرق على جبينه .

كان يحس بأن أصابعه لاتزال تمس تلك الشيء المخيف الذي لمستته منذ لحظة والذي أدخل الذعر إلى قلبه .

ملك نفسه وسيطر على شعوره ومد يده مرة أخرى نحو ذلك الشيء .
مست أصابعه ذلك الشيء للمرة الثانية ومرت بجسده رعدة شديدة ولكنه لم يجذب يده بل صمم على أن يترك لأصابعه أن تتحقق نهائيا من ذلك الشيء .

مست أصابعه كتلة من الشعر الناعم الطويل ثم مست وجهها .
كان الوجه باردا كالثلج .

لم يكن "أرسين لوبين" بالرجل الذي ترعبه الحقائق .
إنه ذعر أولا لأنه كان في شك وارتياح ولأنه لم يكن واثقا أما الآن وقد عرف الحقيقة رغم هولها فإنه سرعان ما استعاد ثباته ورباطة جاشه .

أخرج مصباحه الكهربائي من جيبه وأضاءه وسلط أشعته على الجسم الذي لمسه .

رأى أمامه امرأة غارقة في بحيرة من الدماء وقد أصيبت في عنقها وكثفيتها وصدرها بجروح مخيفة فجثا بجانبها وفحصها فوجدها ميتة .

- غمغم قائلا : يا للشيطان ! -

وراح ينقل البصر بين ذلك الشعر المشعب والوجه الممتقع والجسم المتخن بالجراح وبقع الدم السوداء التي تلتطخ الأرض .

أضاء مصباح الغرفة .. ونظر حوله .. فرأى جميع الآلة على قيام نضال مخيف بين المرأة وقاتلتها أو قاتلتها .

كان الفراش مضطربا .. وأغطيته ملقاة على الأرض .
ورأى الشمعدان والساعة .

ولاحظ أن عقربي الساعة يدلان على الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين .

ثم رأى مقعدا مقلوبا .. وبقع الدماء تلتطخ الأثاث .

غمغم قائلا : واين اللؤلؤة السوداء ؟

ورأى علبة الرسائل موضوعة على المنضدة .. ففتحها بسرعة .. ولكنه وجدها خالية .

هز رأسه وقال : هانتذا قد خسرت نفسك يا عزيزي "أرسين لوبين" .. كنت تفخر منذ لحظة بان الحظ يحالفك ويتأمر معك .. وبانك وفقت في مغامرة الليلة غاية التوفيق .

ها هي ذي "الكونتس" قد قتلت .. واللؤلؤة السوداء قد اختفت ... والموقف لا يدعو إلى الارتياح .

إن افضل ما تفعله الآن .. هو ان تلوذ بالفرار .. قبل ان توجه إليك تهمة انت بريء منها .. وتلقي على عاتقك مسؤوليات لا قبل لك باحتمالها ..

ولكنه مع ذلك لم يهرب .. بل بقي في مكانه .
قال يحدث نفسه :

- اهرب ؟ كلا .. ليس "أرسين لوبين" بالرجل الذي يزعجه منظر الجثث فيلوذ بالفرار .. إن على "لوبين" حيال مثل هذه الجريمة واجبات يتعين عليه ان يضطلع بها .. إن لم يكن بصفة "أرسين لوبين" .. فبصفته "جان باربيه" المحامي الفذ الذي يعمل لوجه الله .. ولوجه العدالة .. ولا يبتغي من عمله غير إحقاق الحق .

نعم .. لنفترض إن "أرسين لوبين" قد تلاشى الآن ، وحل محله "جان باربيه" فماذا يفعل ؟ وكيف يبدأ التحقيق .. ويميط اللثام عن السر ؟ ولكن لا .. إن تحقيق مثل هذه الجريمة يتطلب عقلا متزنا . وتفكيراً سليماً ، وعقلي الآن أبعد ما يكون عن الاتزان والهدوء . وتهالك على أحد المقاعد .. ودفن رأسه بين كفيه .

أحدث جريمة شارع "هوشي" ضجة كبيرة .. ليس لضياح اللؤلؤة السوداء فقط بل كذلك لشخصية "الكونتس دانديلو" التي ذهبت ضحية تلك الجريمة المخيفة .

والواقع .. أن "الكونتس دانديلو" كانت في وقت ما من اظهر الشخصيات في المجتمع الباريسي .. وفي الأوساط المسرحية ... إذ من ذا الذي لم يسمع باسم "ليونتين زالتي" المطربة المشهورة .. التي ختمت

حياتها على المسرح بالاقتران بالنبيل الفرنسي العتيد "الكونت دانديلو"؟

اشتهرت "الكونتس دانديلو" .. ليس فقط بمواهبها الفنية وبأنها كانت في شبابها أبرع مغنيات المسرح .. بل اشتهرت كذلك بثروتها الطائلة من اللآلئ والماسات والأحجار الكريمة التي كانت تزين بها . وقد جمعت "الكونتس" بعض هذه اللآلئ من المعجبين بها .. وهم كثيرون في كل بلد سمع اهله صوتها الفريد .. واهداها زوجها الكونت البعض الآخر من تلك اللآلئ .

وقد كان يقال عن هذه المرأة كلما ظهرت في إحدى الحفلات أو السهرات بلآلئها واحجارها الكريمة إنها تحمل حول صدرها ثروة يحسبها عليها أكثر البنوك وبعض الحكومات .

بيد أن اهل باريس جميعا مازالوا يذكرون الكارثة التي نزلت بـ"الكونتس" بعد موت زوجها .. فإنها تورطت في المضاريات تورطا خطرا ذهب بثروتها .. فبيعت لآلئها وكنزها الثمين من الماسات والأحجار الكريمة بالمزاد العلني .. ولم يبق لها من ذلك الكنز سوى اللؤلؤة السوداء الشهيرة .. وهي في ذاتها ثروة لا تقدر بثمن .

وقد كان في استطاعة "الكونتس" - إذا شاعت - أن تقضي بقية حياتها في رغد ورفاهة بثمن تلك اللؤلؤة الفريدة ولكنها رفضت أن تبيعها وأصررت على الرفض .. وأثرت أن تنتقل من قصرها الفخم إلى شقة متوسطة .. وأن تسرح جميع خدمها - عدا ثلاثة - وأن تعيش عيشة متواضعة .. على أن تفرط في تلك اللؤلؤة .

وقد قيل إن سبب إصرارها على الاحتفاظ بهذه اللؤلؤة هو أن اللؤلؤة أهديت إليها من أحد ملوك أوروبا فقررت الاحتفاظ بها إلى النهاية لتذكرها دائما بمجدها التليد .. ومواهبها التي أحلها الملوك محلا رفيعا من تقديرهم .

كانت الكونتس تقول للمقربين إليها :

- لن أبيع هذه اللؤلؤة مادمت على قيد الحياة .

وكانت تزين صدرها بهذه اللؤلؤة من الصباح إلى المساء حتى إذا هبط الليل أخفتها في مكان لا يعرفه أحد سواها .

وقد اذاعت الصحف كل هذه الحقائق عن المطربة المشهورة ... فانارت بذلك فضول الناس لمعرفة سر الجريمة .

ومن عجب أن شيئا لم يعقد الجريمة كما عقدها إلقاء القبض على الشخص الوحيد الذي حامت حوله شبهة ارتكابها .

نشرت الصحف في اليوم التالي للجريمة نبا جاء فيه :

"علمنا أن المفتش "جانيمار" الذي أنيطت به مهمة تحقيق جريمة شارع "هوش" قد القى القبض على "فكتور داينجر" خادم "الكونتس دانديلو" وأن هناك من الأدلة الساحقة ما يثبت الجريمة ضد "داينجر". ولعل من أهم هذه الأدلة عثور المفتش "جانيمار" بالقرب من جثة الكونتس على رز ثبت أنه سقط من أحد ثياب المتهم .

"وينهب المحققون إلى أن "داينجر" لم يبرح شقة الكونتس في المساء وينطلق إلى مسكنه كالمعتاد .. بل اختبا بعد العشاء في غرفة الملابس وراح يرقب سيده حتى عرف المكان الذي خبات به اللؤلؤة السوداء ثم تريث حتى أوت "الكونتس" إلى فراشها .. فتسلل إلى مخدعها .. ولكن المفهوم .. أنه لم يقم - حتى الآن - لدليل على صحة هذه النظرية التي يوجد من الملابس ما يضعفها ويثير الشكوك حولها .

"من ذلك أن بعض جيران "داينجر" قرروا أنهم أبصروه وهو يبرح مسكنه في الساعة السابعة صباحا كالمعتاد وأن وصيفة الكونتس وطاهيتها اللتين قضتا زهاء العشرين عاما في خدمة "الكونتس" قد قررتا أنهما استيقظتا في الساعة الثامنة . فوجدتا باب الشقة مغلقا بالمفتاح كالمعتاد .

"فالمسألة الآن هي .. إذا كان "داينجر" هو المجرم حقا .. فكيف استطاع الخروج من الشقة ؟ وإذا كان قد استخدم مفتاحا مصطنعا .. فإين هذا المفتاح ؟

"ذلك ما يتعين على المحققين إيضاحه .

غير أن المحققين لم يتمكنوا من إيضاح شيء . كل ما هنالك أنهم رجعوا إلى ملفات الشرطة فوجدوا أن المتهم من ذوي السوابق . وأنه سكير عرييد لا يحجم عن ارتكاب جريمة القتل عند الضرورة .

على أن الحادث لم يزد مع مرور الأيام إلا غموضا . فقد قررت الأنسة

”ستكليف“ ابنة عم ”الكونتس“ ووريثتها الوحيدة ان ”الكونتس“ كتبت إليها منذ شهر تكشف لها عن طريققتها في إخفاء اللؤلؤة وعن المكان الذي تخبئها فيه وان الرسالة التي تتضمن كل هذه المعلومات قد اختفت في اليوم التالي لورودها ولم يعرف سارقها .
كذلك قررت حارسة الباب في منزل ”الكونتس“ انها فتحت الباب في ليلة الجريمة لشخص مجهول زعم انه يريد مقابلة الدكتور ”هاريل“ .
ولما سئل الدكتور في ذلك قرر ان احدا لم يطرق بابه وانه لم ير احدا .

فمن كان إذن ذلك الشخص المجهول ؟ وهل هو شريك للمتهم ؟
وقد هضمت الصحف والرأي العام فكرة وجود شريك للمتهم في شخص ذلك .. الزائر المجهول .. وراح المفتش ”جانيمار“ يعزز هذه الفكرة بكل ما اوتي من قوة ..
كان يقول لقاضي التحقيق :
- إنني ارى في هذا الحادث إصبع ”أرسين لوبين“ فهو بغير شك شريك للمتهم .

ولكن قاضي التحقيق هز كتفيه وأجاب :

- إنك ترى لوبين“ في كل مكان .

- إنني أراه في كل مكان .. لانه حقا في كل مكان .

- بل قل إنك تراه في كل حاث يتعذر عليك فهم حقيقته . إن من السهل جداً نفي التهمة عن ”لوبين“ .. فالجريمة قد ارتكبت في الساعة الحادية عشرة والدقيقة العشرين كما يدل على ذلك عقربا الساعة ، في حين ان الشخص المجهول الذي تكلمت عنه حارسة الباب والذي تعتقد انث انه ”أرسين لوبين“ لم يطرق باب المنزل إلا في الساعة الثالثة صباحا .. اي بعد أربع ساعات من ارتكاب الجريمة .

بيد ان ”جانيمار“ لم يقتنع بهذا التدليل المنطقي المعقول وازداد شعوره بوجود إصبع ”أرسين لوبين“ في الجريمة حين رأى المحامي ”جان باربيه“ يقابل المتهم في سجنه .. ويتطوع للدفاع عنه .

كانت شكوكه في ”باربيه“ قد تضاعفت بعد حاث السندات المسروقة فقد لمس بيده شذوذ ”باربيه“ ووسائله العجيبة في حل جميع القضايا

لمصلحته .. وهي وسائل فذة لا يوجد غير رجل واحد في العالم يمكن ان يتفق عنها ذهنه . وهذا الرجل هو "ارسين لوبين" .

راى "باربيه" يتطوع للدفاع عن "فكتور داينجر" .. فاستنتج من ذلك نتيجتين: الاولى ان "داينجر" لابد ان يكون المجرم حقا .. والثانية ان "باربيه" يعمل لغرض واحد .. هو الاستيلاء على اللؤلؤة السوداء . قال لنفسه : إذا ادين "فكتور داينجر" ، وثبتت عليه تهمة القتل ، وكان "لوبين" شريكه بالفعل ، فإنه لا يتردد في الاعتراف بهذه الشركة لينقذ نفسه من الإعدام ، وفي هذه الحالة ، يضع "لوبين" ، وتضيق على "باربيه" فرصة الاستيلاء على اللؤلؤة .

غير ان الادلة ضد المتهم كانت اضعف من ان تصمد امام الجدل الصحيح .

ولكن العدالة كانت بحاجة إلى من تقتص منه ، وكان رجال الشرطة كذلك بحاجة إلى ضحية ينرون بها الرماد في العيون التي ترى عجزهم وفشلهم ، وعلى ذلك فقد قدم "داينجر" إلى المحاكمة .

ووجد المحامي "باربيه" امامه قضية رابحة ، لا تحتاج إلى كثير من البراعة ، فاطلع القاضي على تفاهة القضية ونقص التحقيق .

قال إنه لا يوجد ضد المتهم أي دليل مادي ، فإذا صح وكان هو القاتل ، فاین المفتاح المصطنع الذي أغلق به باب الشقة بعد ان ارتكب الجريمة ؟ واين الخنجر الذي قتلت به "الكونتس" ؟

واخيرا ، اين اللؤلؤة السوداء ؟

لم يعثر رجال الشرطة في بيت المتهم على شيء من هذه الادلة المادية . اما الزر الذي وجده المفتش "جانيمار" بجانب جثة الكونتس فإنه لا يعتبر دليلا ، إذ يحتمل أن يكون المتهم قد فقد هذا الزر في غرفة سيبته في أثناء النهار .

وختم "باربيه" دفاعه عن المتهم بقوله :

ومهما يكن من امر فعليكم ان تثبتوا ان موكلي هو الذي ارتكب الجريمة . اثبتوا ان القاتل السارق ليس هو الشخص المجهول الذي دخل المنزل في الساعة الثالثة صباحا ! اما قرينة عقربي الساعة فلا يصح الاخذ بها إذ كان في استطاعة القاتل ان يحرك العقربين كما

يشاء .

وقد أخذت المحكمة بأقوال الدفاع وأصدرت حكمها ببراءة المتهم .
وأطلق سراح " فكتور داينجر " فخرج من سجنه ضعيفا هزيلا ..
مضعضع الحواس .

كانت الأسباب التي قضاهما في السجن قد تركت في نفسه اثرا
سيئا ، وكان منظر المشنقة الذي طالما تراءى له في أحلامه ثم
الساعات الطويلة التي قضاهما بين أيدي المحققين والموقف الرهيب
الذي وقفه في قفص الاتهام ، كل ذلك ملأ نفسه ذعرا وهلعا .. فراح
يلتمس الهدوء والطمأنينة وراحة البال في غرفة متواضعة بحي
"مونمارتر" .

وكان أول ما فعله "داينجر" بعد خروجه من السجن .. أنه ذهب إلى
مكتب الأستاذ "باربيه" ليشكره تطوعه للدفاع عنه .

وقد قابله "باربيه" بشيء من الفتور وفاجاه بقوله :

- لقد كنت أنتظر قدومك فغمغم "داينجر" :

- دعني أعبر لك عن شكري يا سيدي .. فانا أدين لك بحياتي
وحرיתי .

فرمقه "باربيه" بنظرة حادة ثم قال وهو يوليه ظهره :

- كن مطمئنا .. فانت لا تدين لي بشيء لأنني لم أكن أدافع عنك .

فنظر إليه "داينجر" في دهشة وهتف :

- لم تكن .. إذن ؟

- لقد كلفتني الأنسة "ستكيف" بالدفاع عن مصالحها .

- الأنسة "ستكيف" ؟

- نعم . وهي الوريثة الوحيدة لـ"الكونتس دانيلو" .

- إذن ...

- وقد أناطت بي أن أرد إليها اللؤلؤة السوداء .

- اللؤلؤة السوداء ؟

- نعم . اللؤلؤة التي سرقتها .

فدعر "داينجر" وغمغم :

- لم أسرقها .

- بل سرقتها .

- إذا كنت أنا الذي سرقتها ، فمعنى ذلك أنني أنا الذي قتلت الكونتس ؟

- أنت الذي قتلت الكونتس .

فحاول "داينجر" أن يضحك . ولكن لم يخرج من فمه سوى فحيح مزعج وهو يقول :

- من حسن الحظ يا سيدي أن محكمة الجنايات قد رأت غير رأيك وقضت ببراءتي .

فتحول إليه "باربيه" وأمسك بساعده بشدة وهتف :

- دعك من هذا الجدل العقيم الذي لا يجدي . واصنع إلي جيذا .. وافهم كل كلمة أقولها لك الآن .

حدث قبل مقتل "الكونتس دانديلو" بثلاثة أسابيع أنك سرقت مفتاح الشقة ونهبت به إلى محل "أوتير" تاجر الاقفال بشارع "أوبر كامف" رقم ٢٤٤ وطلبت إليه أن يصنع لك مفتاحا مائلا ...

فصاح "داينجر" :

- هذا غير صحيح .. هذا غير صحيح . لم ير احد المفتاح الذي تتكلم عنه .. إنه لا وجود له .

- ها هو ذا المفتاح .

ووضع "باربيه" مفتاحا على مكتبه ، فساد الصمت لحظة .

ثم استطرد المحامي :

- إنك قتلت الكونتس بخنجر اشتريته من ميدان "كونكوردي" في ذات اليوم الذي صنعت فيه مفتاح الشقة .

فصاح "داينجر" :

- كل هذا كلام فارغ . إنك ترسل الكلام جزافا للإيقاع بي . إن احدا لم ير الخنجر .

- ها هو ذا .

فانكمش "داينجر" في مكانه .. واستطرد المحامي :

- ولا يزال مقبض الخنجر ملوثا بالدماء .. فهل يجب أن أوضح لك مصدر هذه الدماء ؟

- وبعد .. إن معك مفتاحا مصطنعا ، وخنجرا ملوثا بالدماء ولكن احدا لا يستطيع أن يثبت انهما مفتاحي وخنجري .

- يستطيع أن يثبت ذلك كل من تاجر الأقفال وبائع الخنجر ولا شك انهما سيعرفانك متى وقعت ابصارهما عليك .

وكان 'باربيه' يتكلم بهدوء ، وبلهجة الواثق بنفسه . فانقلبت سحنة 'داينجر' .

لم يشعر بمثل هذا الحرج وهو في قفص الاتهام ، ولم يستطع احد من المحققين أن يتغلغل في الحقائق كما تغلغل هذا المحامي الغريب الذي انقذه من الإعدام وهو يملك جميع الأدلة المادية التي تثبت عليه الجريمة .

وعلى الرغم من ذلك فإنه حاول أن يتظاهر بقلة الاكتراث ثم سال :
- اهذا كل ما عنك من الأدلة ؟

فاجاب 'باربيه' :

- بل لايزال عندي دليل آخر : إنك بعد أن ارتكبت جريمتك ، عت من الطريق التي جئت منها ، اي نفنت من المخدم إلى غرفة الملابس ، وهناك استولى عليك الرعب والضعف فجأة ، فاستندت إلى الجدار لتمنع نفسك من السقوط .

فغمغم 'داينجر' بلسان متلعثم :

- كيف علمت ذلك ، لا يستطيع احد أن ...

- إن رجال العدالة لم يعلموا شيئا ، لانهم لم يكلفوا انفسهم عناء فحص الجدران ، ولو أنهم اشعلوا إحدى الشموع وفحصوا جدران غرفة الملابس على ضوءها ، إذن لتبينوا على الجدار اثر اصابع يبك اليمنى ، وهو اثر خفيف جدا ، ولكنه واضح ، بل إن الدم واضح جدا في الاثر الذي تركه إصبعك السبابة على الجدار .

ولعلك تعلم أن بصمات الاصابع أصبحت في العصر الحديث من أهم وادق وسائل ضبط المجرمين ، وإدانة المتهمين .

فاطرق 'داينجر' برأسه وتصبب العرق البارد على جبهته .

ثم رفع رأسه بعد لحظة وحملق بعيني المجنون إلى وجه هذا الرجل الذي سرد عليه تفاصيل جريمة كانه شهد بعيني رأسه كل مرحلة من

مراحلها .

اطرق براسه مرة اخرى إطراقة العاجز المعترف بعجزه . شعر بأنه امام خصم عنيد ليس في وسعه إلا أن يطيعه فغمغم يقول :

- إذا رددت إليك اللؤلؤة فكم تعطيني ؟

- لا شيء .

- كيف ذلك ، هل اعطيك لؤلؤة لا يقل ثمنها عن بضع مئات من الوف

الفرنكات ولا تعطيني أنت شيئا .

- إنني أمنحك الحياة .

فسرت في جسد المجرم رعدة قوية .

على أن "باربيه" ما لبث أن استطرد بلهجة أقل قسوة :

- اصغ إلي يا "داينجر" .. هذه اللؤلؤة لا قيمة لها عندك ومن

المستحيل عليك أن تبيعها ، لأن رجال الشرطة - وفي طبيعتهم المفتش

"جانيمار" - يعتقدون اعتقادا راسخا بانك القاتل . وهم يتحينون

الفرصة لضبط اللؤلؤة معك ، فإذا نجحوا أصبح من المستحيل إنقاذك

من الإعدام . فلماذا إذن تريد الاحتفاظ باللؤلؤة ، وهي كما ترى دليل

خطير قد يقذف بك إلى حبل المشنقة .

قفال "داينجر" :

- يوجد اناس يتجرون بالمسروقات ، وقد اتمكن يوما ما من بيع

هذه اللؤلؤة بأي ثمن .

- إنك لن تجد متسعا من الوقت لبيعها .

- لماذا ؟

- لماذا ؟ لأن العدالة ستضع يدها عليك حالما تبرح هذا المكان ،

وستكون لديها في هذه الحالة ائلة مابية لا تقبل نقضا ولا دفعا ،

سيكون لديها المفتاح المصطنع والخنجر الملوث بالدماء ، وبصمة يدك

على الجدار .

وهنا دفن "داينجر" راسه بين كتفيه وراح يفكر .

لعن الساعة التي فكر فيها في مقابلة هذا الشيطان .

شعر بأنه فقد كل شيء .. وأنه يجتاز أخرج موقف مر به في حياته

واستولت عليه الملالة والسام فجأة .. وشعر برغبته في أن يستريح ..

وان يستمتع بالحياة الهادئة بدون أن يكون ثمة ما يهدده .
غمغم :

- متى تريد الحصول على اللؤلؤة ؟

- الليلة ... بعد ساعة على الأكثر .

- وإلا ؟

- وإلا فإنني أبرق إلى موكلتي الأنسة "ستكليف" بأن تبلغ أمرك إلى رجال الشرطة وتلفتهم إلى الأدلة المادية التي يكفي كل واحد منها لربك إلى السجن وضياعك .

- حسنا .. إنني تعبت من هذه الحالة التي لا تطاق .. فتعال معي ..
لتأخذ تلك اللؤلؤة اللعينة .

وكان الليل قد أرخى سدوله ، فانصرف الرجلان من مكتب "باربيه" بشارع "ليبك" وعرجا على الطريق إلى ميدان "ليتوال" ولم ينطق أحدهما ببنت شفة في أثناء الطريق .. وكانت تبدو على "فكتور داينجر" علامات التعب والسأم .

سأله المحامي :

- إلى أين تذهب بي ؟

فاجاب "داينجر" بصوت أجش :

- إلى حدائق "مونسو" .

- وهل نهبنا إلى هناك غداة يوم الجريمة ؟

- نعم .. إنني بكرت في النهوض وقصدت إلى هناك قبل أن أذهب إلى بيت الكونتس .

ووصلا إلى حدائق "مونسو" . وسارا بحذاء السور الحديدي الذي يحيط بالحدائق حتى بلغا مكانا معينا . وهناك تهالك "داينجر" على أحد المقاعد العامة الموضوعة لصق السور .

سأله "باربيه" :

- ماذا بك ؟

- إنها هنا .

- اللؤلؤة السوداء هنا .. ماذا تقول ؟

- أقول إن اللؤلؤة هنا .. أمامنا .

- امامنا!! اصغ إلي يا داينجر.. إذا كنت ترمي إلى الاستهزاء بي و..
- قلت لك إنها هنا .. امامنا .
- أين ؟
- بين قطعتين من قطع الحجر التي يتألف منها إفريز الشارع ...
- أية قطعتين ؟
- ابحث ...
- هل تريد أن تضعني امام معضلة ؟ هل تريد أن تمتحن ذكائي ... ؟
- لا .. ولكنني أخشى أن أموت كمدا إذا أنا أعطيتك اللؤلؤة بيدي ..
- أه ..
- من الغبن أن تتركني أموت جوعا .
- حسنا .. إنني ساعاملك بمنتهى الكرم والسخاء .. فكم تطلب ؟
- اطلب نفقات رحيلي إلى أمريكا .
- اتفقنا ...
- واطلب كذلك مبلغ ألف فرنك ..
- ساعطيك ألفين من الفرنكات .. تكلم إذن .
- إنها بين القطعة السابعة والقطعة الثامنة .. احص قطع الحجر
من هنا .. نعم ..
فاحصى "باربيه" قطع الحجر التي يتكون منها الإفريز ثم وقف عند
القطعة السابعة .. وأجال الطرف حوله ..
كان الناس يسرون في طريقهم دون أن يعيره أحدهم التفاتا ولم ير
أثرا لـ "جانيمار" أو لأحد رجاله .. فأخرج من جيبه سكيناً وقال محدثاً
داينجر :
- وإذا لم أجدها ؟
- إذا لم يكن أحدهم قد رآني وأنا أبحثها .. فإنها لا تزال في
موضعها بغير شك .
فهز "باربيه" رأسه :
- من ذا الذي يصدق ؟ .. من ذا الذي يتصور أن اللؤلؤة السوداء
الشهيرة التي يربو ثمنها على نصف مليون فرنك تبقى في الأوحال
عدة أسابيع تحت تصرف أول من يقع عليها بصره . ثم سأل :

- هل أحدثت لها ثقباً عميقاً ؟

- إنني خبأتها على عمق عشرة سنتيمترات أو ما يقرب من ذلك .

فراح "باربيه" يعمل نصل السكين في الشق بين قطعتي الحجر .. إلى أن ارتطم النصل بشيء .. فجعل يعمل بإصبعه على توسيع الثقب .. حتى لاحت له اللؤلؤة .

قال وهو يضعها في جيبه :

- خذ .. إليك الفين من الفرنكات .. وسابعث إليك غدا صباحاً تذكرة السفر إلى أمريكا .

وبعد يومين .. بينما كان "جان باربيه" المحامي يرتب أوراقه على مكتبه وعلى وجهه علامات البشر والارتياح .. إذا بباب المكتب يفتح .. وإذا القادم مفتش الشرطة "جانيمار" ..

وكان "جانيمار" منتفخ الأوداج غضبا وحنقا فبادره "باربيه" بقوله :

- أهلا بالعزیز "جانيمار" .. ماذا بك يا رجل ؟ هل سرقت سنداتك مرة أخرى ؟

فلم يجب "جانيمار" .. بل أخرج من جيبه نسخة من إحدى الصحف والقى بها أمام "باربيه" وقال وهو يضع إصبعه على مكان معين بالجريدة :

- خذ واقرأ .

فتناول "باربيه" الجريدة وقرا بها النبا التالي :

"كان بين ركاب الباخرة "اتلانتيك" التي أبحرت أمس إلى أمريكا مسيو "فكتور داينجر" الذي اتهم بقتل "الكونتس دانديلو" وأطلق سراحه أخيراً .."

هز "باربيه" كتفيه ورد الجريدة إلى "جانيمار" وهو يقول :

- واة غرابة في هذا ؟

فصاح "جانيمار" :

- هذا الرجل هو قاتل "الكونتس" .

- هذا صحيح ..

- و"أرسين لويين" شريكه .

- وهذا صحيح أيضا ..

- وقد استولى "أرسين" على الماسة السوداء ..
- لا شك في ذلك ..
- وساعد هذا الشقي على الفرار إلى أمريكا ليأمن شره .
- إنك تحسد على هذا الذكاء يا "جانيمار" .
- كيف إذن دافعت عن هذا الشقي وانكرت اشتراك "لوبيين" في الجريمة ؟
- لأنني لم أعرف الحقيقة إلا اليوم ..
- وكيف عرفتھا ؟
- جاعتنی رسالة من "لوبيين" يوضح فيها ما غمض من اسرار الجريمة .
- وأين هذه الرسالة ؟
- فابتسم "باربيه" في خبث وإجاب :
- هذا سر المهنة .
- فعض "جانيمار" على شفتيه بغيظ وأطرق براسه لحظة ثم سال :
- وماذا قال "لوبيين" في رسالته ؟
- إنه اطرى ذكاءك ومهارتك وبعد نظرك .
- ثم ؟ ..
- ثم أوضح ما خفي عليك من أمر مقتل الكونتس .
- وإذن فقد كان شريكا للقاتل كما توقعت ؟
- إنه لم يكن شريكا بالمعنى الذي نفهمه .. ولكن كان من المصادفات العجيبة انه استطاع بطريقة ما أن يستولي على رسالة "الكونتس" إلى قريبتها ووريثتها.. وهي الرسالة التي أوضحت فيها "الكونتس" كيف تخبئ لؤلؤتها الثمينة .. فلما ذهب إلى بيت الكونتس للتحقق من مضمون الرسالة ... وجد المرأة المسكينة غارقة في بحيرة من الدماء .
- فهتف "جانيمار" :
- إذن فهو الذي زار البيت في الساعة الثالثة صباحا بدعوى مقابلة الدكتور "هاريل" .
- بالضبط .. فلما اكتشف الجريمة .. وتأكد من أن اللؤلؤة سرقت ،
- أخذ يفكر.. وهواه تفكيره إلى معرفة الحقيقة ...

- وهي ...
- وهي أن مرتكب الجريمة لابد أن يكون خادم الكونتس .
- واين نهبت إذن أدلة الجريمة ؟
- لقد قال لي في رسالته : إنه اكتشف جميع الأدلة المادية التي تركها المجرم في قرضه ... فاستولى عليها جميعا ... واحتفظ بها لنفسه ... ولم يبق منها غير الزر .
- وماذا كان غرضه ؟
- كان غرضه أن يتهم "داينجر" فيقبض عليه . ثم تبدو الأدلة غير كافية فيفرج عنه . وعندئذ يستطيع مقابله وتهديده بالأدلة المادية التي عنده . ويسلمه غنيمته .
- فننظر "جانيمار" إلى المحامي بارتياب . وغمغم :
- أه ...
- ولا شك أن "داينجر" كان من السذاجة بحيث وقع في هذا الفخ .
- كان من السذاجة ؟
- بالتأكيد .. لأن "لويين" لم يكن في استطاعته أن يخرج تهديده من حيز القول إلى حيز الفعل .
- لماذا ؟
- فاجاب "باربية" وهو يبتسم :
- لسبب بسيط يدركه كل مشتغل بالقانون .. وهو أن القانون لا يجيز محاكمة الشخص مرتين لجريمة واحدة . وقد حوكم "داينجر" وبراته المحكمة .. فكان من المستحيل قانونا إذن أن يحاكم للمرة الثانية .

المحكوم عليه

جلس الشاب أمام إحدى الموائد في مطعم "الإمبريال" .. وراح يتناول طعامه ببطء .. ويجول ببصره بين أعمدة إحدى الصحف .

ولابد أن نبا في الجريدة لفت نظر الشاب وأثار اهتمامه وفرغه .. لأن يده وقفت فجأة في منتصف الطريق إلى فمه ثم القى بالجريدة بغثة . ونهض واقفا .. واستدعى خادم المطعم بصوت يدل على الفزع وهتف به :
- كم الحساب .. أسرع ؟

ووضع في يد الخادم ورقة مالية . ولم ينتظر حتى يأتيه الخادم بما تبقى منها .. بل تبعه إلى حيث تجلس عاملة الخزنة . ولفتت هذه الحركة نظر رجل آخر كان يتناول الطعام على المائدة المجاورة .. فنهض من مكانه بدوره وتناول الجريدة التي تركها الشاب على المائدة .. وأجال الطرف بين أنبائها ولفت نظره النبا التالي :

"علمنا والجريدة ماثلة للطبع أن المحامي "جوردان" الذي تولى الدفاع عن "جاك أوبريو" قد تشرف اليوم بمقابلة رئيس الجمهورية .. والمفهوم أن الرئيس رفض العفو عن المحكوم عليه .. وأن الإعدام سينفذ في المتهم غدا صباحا" .

قال الرجل وهو يرد الجريدة إلى موضعها :

- لا شك أن هذا النبا هو الذي أزعج الشاب .

ونقد الخادم ورقة مالية .. وأسرع في أثر الشاب .. وكان هذا الأخير قد خرج من المطعم .. ووقف على إفريز الشارع في انتظار مرور إحدى السيارات الأجرة .

اقترب الرجل من الشاب ، وقال له :

- عفو يا سيدي .. قد لاحظت أنك غابرت المطعم في حالة انزعاج وفرغ .. وكان النبا الخاص بـ "جاك أوبريو" هو سبب فرغك واضطرابك .. اليس كذلك ؟
فاجاب الشاب على الفور :

- بلى .. بلى .. إن 'جاك أوبريو' صديقي منذ الصغر وقد ازعجني
نبا إعدامه وأريد الآن مقابلة زوجته للترفيه عنها . لا شك أن المسكينة
ستجن حزنا وفزعاً .

- هل أستطيع مساعدتكم بشيء ؟ . أنا 'جان باربيه' المحامي .
على أن الشاب كان في أشد حالات الفزع من النبا الذي قراه .. وبدا
عليه أنه لم يفهم غرض 'باربيه' . فغمغم يقدم نفسه إلى محدثه :
- أنا ادعى 'نوتري' ، 'جاستون نوتري' .
فقال 'باربيه' :

- أنا لا أعلم الكثير عن 'جاك أوبريو' وجريمته ولكني سمعت لغطاً
بشان أدلة الإدانة والأوراق المالية المسروقة ، واعتقد أنني أستطيع
مساعدته إذا عرفت حقيقة قصته .

مرت في هذه اللحظة إحدى سيارات الأجرة ، فاستوقفها 'نوتري'
ووثب فيها . وهم بأن يغلق بابها غير أن 'باربيه' وثب في اثره . وقال
وهو يحتل مكانه :

- ألا أستطيع أن أعرف المزيد من أمر الجريمة التي ارتكبها 'أوبريو' ؟
كل ما أعلمه أنه قتل أحد أقربائه اليس كذلك ؟ . فذكر الشاب لسائق
السيارة عنوان مدام 'أوبريو' ثم تحول إلى 'باربيه' وقال :

- إنه بريء يا سيدي . أقسم لك إنه بريء . إن 'جاك' صديقي منذ
عشرين سنة .. وأنا واثق بأنه بريء .. هذا مخيف .. نعم هذا مخيف .
ولم يزد الشاب على ذلك .. وعبثاً حاول 'باربيه' أن يعرف المزيد .. إذ
كان يلوح أن الصدمة ضعفت حواس الشاب على أن رحلة السيارة
لم تكن طويلة فوصلت إلى 'نويلي' ودلغت إلى شارع ضيق ووقفت
أمام منزل يتكون من طابق واحد وهناك وثب 'نوتري' من السيارة كمن
به مس . راح يقرع الباب بشدة ففتحت الباب إحدى الخادmates وقالت
للطارق :

- إن سيدتي مع أمها في قاعة الاستقبال .

فأجاب الشاب بحدة :

- أريد أن أراهما في الحال .

دخل وتبعه 'باربيه' فذهبت بهما الخادمة إلى غرفة فسيحة مؤثثة

بذوق سليم وهناك رأى الرجلان سيدتين لاتزال الدموع تبلل
اهدابهما.

كانت إحداهما متقدمة في السن وقد خط الشيب شعرها فتقدمت
لاستقبال "نوتري". وقدم إليها "نوتري" زميله ، فقالت السيدة على
الفور موجهة كلامها إلى المحامي :

- أؤكد لك يا سيدي أن زوج ابنتي بريء . إنه من أشرف الرجال
وأطيبهم قلبا . ومن المستحيل أن يكون قد قتل ابن عمه كما يزعمون .
إنه كان يحب ابن عمه هذا ويحله من نفسه محلا رفيعا . إنه بريء
يا سيدي . أقسم لك إنه بريء .. ومن القسوة أن يعدموه . إذا قتلوه
كان ذلك ضربة قاضية على ابنتي .التعسة .

وقد أدرك "باربيه" على الفور أن زوجة المتهم ووالدتها كانتا واثقتين
ببراءة المتهم .. وأنهما كانتا تنتظران ظهور هذه البراءة بين لحظة
وأخرى . ولذلك هبط عليهما نبا الإعدام هبوط الصاعقة .
اقترب من الزوجة .. ولم تكن قد تحركت من موضعها .

كانت لاتزال في مقتبل العمر وعلى جانب كبير من الفتنة والجمال
بيد أن الحزن ترك أثره العميق على وجهها الفاتن .
قال لها بصوت هادئ حزين :

- يا سيدتي ، إن قضية زوجك قد أثارت فضولي ، وحزنك العميق قد
أثار شفقتي .ولست أعلم ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك .. ولكن إذا
كان في العالم شخص يستطيع أن يفعل شيئا مفيدا فإنني ذلك
الشخص .. ولذلك أرجو أن تجيبي عن أسئلتي بوضوح وجلاء . وبيان
تعتقدني بأن الصراحة قد تغير الموقف تغييرا جوهريا .

إنك أولا تؤمنين ببراءة زوجك . اليس كذلك ؟

فاجابت على الفور .. وبلهجة الثقة واليقين :

- بلى ! يا سيدي ..

- إنك لم تستطعي إقناع المحقق ببراءة زوجك فهل في مقدورك أن

تقنعيني؟ ماذا كانت مهنة زوجك يا سيدتي ؟

- كان يشتغل مندوبا لإحدى شركات التأمين .

- هل كان موفقا في عمله ؟

- نعم ، حتى العام الماضي .
- وإن ، فقد ساءت أحواله المالية في المدة الأخيرة ؟
- نعم ..
- ومتى ارتكبت الجريمة ؟
- في مارس الماضي .. في يوم أحد .
- والضحية ؟
- إنه ابن عم زوجي ويدعى "جيرار" ويقطن في "سورسن" .
- والمبلغ الذي سرق ؟
- ستون ورقة مالية من فئة الألف فرنك ..
- هل كان زوجك يعلم بامر هذا المبلغ ؟
- نعم .. فقد اتصل به "جيرار" تليفونيا في يوم الأحد وانبأه به فالح عليه زوجي بالا يحتفظ معه بمثل هذا المبلغ الباهظ ونصح له بأن يودعه أحد البنوك .
- كان هذا الحديث التليفوني في صباح يوم الأحد ؟
- بل في الساعة الواحدة بعد الظهر .. وكان زوجي قد وعد "جيرار" بأن يذهب إليه في بيته بالموتوسيكل الذي يستخدمه في تنقلاته ، ولكنه كان متعبا فاتصل بابن عمه واعتذر له عن عدم الحضور .. وقضى بقية النهار هنا .
- وحده ؟
- نعم وحده .. وكنا قد رخصنا للخادمتين بإجازة في ذلك اليوم أما أنا فقد نهبنا إلى دار للسينما في "تين" برفقة والدتي وصديقنا "توتري" .
- وفي المساء .. علمنا بمقتل "جيرار" .. وفي اليوم التالي القي القبض على زوجي .
- وماذا كانت أدلة الاتهام ؟
- فتردبت الزوجة التعسة .. وأدرك "باربيه" من ترديها أن الأدلة لا بد أن تكون قوية ساحقة .
- أعاد عليها السؤال فأجابت :
- ثبت أن القاتل ذهب إلى "سورسن" بموتوسيكل .. وبلت الأثار على

انه موتوسيكل زوجي . وقد عثروا كذلك على منديل في احد اركان
الحروف الأولى من اسم زوجي . ووجدوا أن المسدس الذي ارتكبت به
الجريمة مسدس زوجي كذلك وزعم أحد جيراننا أنه رأى زوجي في
الساعة الثالثة وهو ينطلق من المنزل بموتوسيكل . وزعم آخر أنه رأى
زوجي عندما عاد إلى المنزل في منتصف الساعة الخامسة .
وقد قرر الطبيب الشرعي أن القتل حدث في الساعة الرابعة فالأدلة
كما ترى قوية .

- وبماذا دافع زوجك عن نفسه ؟

- أكد أنه قضى طيلة الوقت بعد الظهر نائما في فراشه . ولا شك أن
أحدهم استطاع خلال ذلك أن يستولي على الموتوسيكل وينطلق به إلى
"سورسن" .

أما المنديل والمسدس فكانا في حقيبة صغيرة ملحقة بالموتوسيكل
فلا غرابة إذن إذا كان القاتل الشقي قد استعان بهما في جريمته
واستخدمهما في إبعاد الشبهة عن نفسه . والصاقها بزوجي .

- هذا تفسير معقول ومقبول .

- نعم . ولكن المحقق لم يقتنع به لسببين : أولهما أن أحدا لم
يستطع إثبات وجود زوجي في المنزل وهو الذي اعتاد الخروج
بالموتوسيكل بعد ظهر أيام الأحد .

- والسبب الثاني ؟ ..

فاحمر وجه المرأة وغمغمت :

- والسبب الثاني هو أن القاتل تناول نصف محتويات زجاجة
شراب عثر عليها في مكتب "جيرار" وقد وجد على الزجاجة بصمات
أصابع .

وهنا قالت أمها :

- إنه بريء ، اليس كذلك ؟ ليس في استطاعتهم أن يعدموا رجلا
بريئا ..

فاخذ "باربيه" يسير في الغرفة جيئة وذهابا .

سأله "توتري" :

- إنك لا تستطيع أن تفعل شيئا من أجلهم . اليس كذلك ؟

- نحن الآن في منتصف الساعة الثانية عشرة .. وغدا صباحا ..
ولم يتم جملة .. فسأله الشاب :

- هل تعتقد انه مجرم ؟

- لا اعلم .. لا اعلم .. بيد ان زوجته تؤمن ببراءته .. إن الزوجين
المتحابين قل ان يخطئ شعور احدهما نحو الآخر .. ومع ذلك ..
وجلس على احد المقاعد .. واشعل لفافة تبغ ... وراح يدخن في
سكون..

وكان ينظر في ساعته بين الفينة والفينة .
كانت للدقائق قيمتها وأهميتها ..

وأخيرا .. نهض "باربيه" واقفا وامسك بيدي الزوجة الشابة وقال
لها في لطف:

- يجب الا تقطعي الامل .. ويجب الا تقتلي نفسك حزنا واسى ..
واعدك من ناحيتي بالا اقنط حتى آخر لحظة .
- إنني اثق بك يا سيدي ..

- حسنا .. اصغي إلي يا سيدي .. إنني سأنصرف الآن .. ولكني
ساعود إليك بعد ساعتين بالخبر اليقين .. فهل تعدينني بان تاخذي
بالصبر حتى اعود؟.

- اعدك بذلك .

- حسنا .. هل تأتي معي يا مسيو "نوتري" ؟

وعندما انصرف الرجلان .. التفت "باربيه" إلى الشاب وسأله :

- هل تعرف مطعما صغيرا هادئا ؟

فاجاب "نوتري" :

- اعرف مطعم "كوتيسيا" في ميدان "تين" وهو كائن بأسفل المنزل
الذي اقيم فيه .

- حسنا .. إن هذا المطعم يلائم غرضنا .

وساد الصمت بين الرجلين بعض الوقت ثم التفت "باربيه" إلى
"نوتري" وقال له :

- يخيّل إلي أنني قرأت في الصحف انهم عرفوا ارقام الأوراق المالية
التي سرقت من القتل ، وكانت سببا في قتله ... اليس كذلك ؟ فاجاب:

- بلى .. لأن القتل كان قد سجل هذه الأرقام في دفتر صغير معه .
فغمغم 'باربيه' :

- هنا المشكلة .. أين ذهبت الأوراق المالية ؟ إذا عرفنا جواب هذا السؤال قطعنا الشك باليقين في أمر المجرم . ولما بلغا مطعم 'لوتيسيا' انتحيا ناحية خاصة حيث وجدا هناك جهازا للتليفون . طلب كل منهما قرح قهوة ، وتناول 'باربيه' قرحه في ببطء وسكون . وما إن فرغ من تناول القهوة حتى نهض إلى جهاز التليفون ، وقد ارتسمت على وجهه دلائل العزم . تناول السماعة وهتف :

- ألو .. أريد الاتصال بإدارة الشرطة .. إدارة الشرطة ؟ هل المفتش 'جانيمار' موجود ؟ نعم .. أريد التحدث إليه .. إنه يعرفني حق المعرفة وقد اشتركنا معا في العمل مرارا .

ثم التفت إلى 'دوتري' وقال :

- لا مانع لديك بالتأكيد من أن ادعو أحد مفتشي الشرطة للتعاون معنا ..

- لا .. بالتأكيد .. يجب أن نبذل قصارى جهدنا لإنقاذ 'أوبريو' .

فاستأنف 'باربيه' حديثه التليفوني :

- ألو .. ألو .. 'جانيمار' . هل عرفت صوتي .. يالك من رجل ذكي . اصغ إلي يا 'جانيمار' .. بين يدي قضية خطيرة سوف يكتب لك فيها المجد . اصغ . اصغ ولا تقطع الحديث . إن في استطاعتي أن أرشدك إلى الحلقة المفقودة في قضية 'جاك أوبريو' . نعم أعرف مكان الأوراق المالية التي سرقها 'أوبريو' من ابن عمه بعد أن قتله .

فإذا كان يهمك أن تضع يدك على هذه الأوراق فاحضر في الحال لمقابلتي بمطعم 'لوتيسيا' في 'تين' .

إنني هنا في انتظارك مع مسيو 'دوتري' صديق 'أوبريو' . ووضع 'باربيه' السماعة ونظر إلى 'دوتري' فرأى على وجهه علامات الدهشة الشديدة ..

سأله هذا الأخير :

- أنت تعلم إذن ! .. هل اكتشفت مكان الأوراق المالية بهذه السرعة ؟

- إنني لم أكتشف شيئا على الإطلاق .

- إذن ...

- بيد أنني أبدا عملي دائما كما لو كنت أعرف كل شيء .. وهي خطة تؤدي في غالب الأحيان إلى النتيجة المطلوبة .

ثم استطرد بعد لحظة :

- سيكون "جانيمار" هنا بعد عشرين دقيقة على الأكثر .

- وإذا لم يحضر .

- يكون ذلك مبعثا للدهشة والعجب . ثم ابتسم واستطرد : ولكني واثق بأنه سيحضر ولو أنني قلت لـ "جانيمار" إن "أوبريو" بريء . فاحضر لأقدم إليك الدليل على براعته إذن لضرب بكلامي عرض الحائط لأنه من المستحيل أن يصغي إليك رجال الشرطة والعدالة مهما أكنت لهم أن المحكوم عليه الذي سينفذ فيه الحكم غدا بريء .

- لا .. إن "جاك أوبريو" هو الآن ملك للجلاد ولن ينقذه من الإعدام إلا معجزة من المعجزات .

على أنك إذا قلت لرجال الشرطة إنك وقفت على الحلقة المفقودة في قضية متهم حكم عليه بالإعدام فإنهم لا يترددون في الإصغاء إليك لأنك ستقدم إليهم دليلا يزيد مركز المتهم إحراجا ويزداد اهتمامهم بطبيعة الحال متى كانت هذه الحلقة المفقودة هي الركن الضعيف في التحقيق . ولكن مادمت لا تعلم على وجه التحقيق فإن ..

- اصغ إلي يا صديقي إذا استعصى على الإنسان في تحقيق الجرائم أن يعرف حل هذا اللغز أو ذاك ، فإن الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الموقف هي أن يفترض أحد الفروض ويبني جميع النتائج على هذا الافتراض .

- وهل تفتق نهنك عن نوع من أنواع الفروض ؟

فلم يجب "باربيه" في الحال بل فكر طويلا ثم قال :

- بالتأكيد إنني افترضت فرضا .. ولو كان لدي متسع من الوقت لبنتل قصارى جهدي للتحقق من صحة هذا الفرض . ولكني للأسف لا أجد أمامي غير مهلة ساعتين ولذلك قررت أن امضي في طريقي على أساس صحة افتراضي .

وفي هذه اللحظة ، فتح باب المطعم .. ودخل "جانيمار" فاجال الطرف حوله.. ورأى "باربيه" وصاحبه جالسين في أحد الأركان فقصد إليهما . نظر "جانيمار" إلى "باربيه" شزراً وجلس بدون أن يجيبه فابتسم "باربيه" وقال :

- دعني أتدارك ما غاب عنك من تقاليد اللياقة ايها العزيز "جانيمار".
فأقدم إليك هذا الصديق مسيو "جاستون دوتري".

فأحنى "جانيمار" رأسه للشاب .

واستطرد "باربيه" :

- أنت تعلم دون شك لماذا دعوتك ؟

- ألم تدعني من أجل الأوراق المالية التي سرقت من مسيو "جيرار" ؟
ها هي ذي أرقامها .

وأخرج من جيبه ورقة فتناولها "باربيه" وألقى عليها نظرة سريعة ،
ثم قال :

- حسنا فعلت بإحضار هذه القائمة .. والآن .. اصغ إلي يا عزيزي
"جانيمار" .. إنني قمت في قضية مقتل مسيو "جيرار" بتحقيق دقيق
انتهى إلى نتيجة مهمة .

- هي ؟

- هي أن القاتل بعد أن ارتكب جريمته .. وضع الموتوسيكل في بيت
المتهم الذي حكم عليه فيما بعد بالإعدام .. ثم جاء إلى هنا مسرعاً ..
وبدخل هذا البيت .

- هذا البيت ؟

- نعم .. هذا البيت الذي يقع المطعم في أسفله .

- ولكن ماذا أتى يصنع هنا ؟

- جاء لإخفاء غنيمته .. لإخفاء الأوراق المالية .

- كيف ؟ وأين أخفاها ؟

- أخفاها في شقة بالطابق الخامس .. كان معه مفتاحها . فصاح
"دوتري" في دهشة :

- ولكن لا توجد في الطابق الخامس سوى شقة واحدة .. وأنا الذي
أقيم في تلك الشقة .

فقال "باربيه" :

- هذا ما أعلمه . ولكن لما كنت أنت قد ذهبت إلى دار السينما برفقة مدام "أوبريو" وأمها فقد انتهز القاتل الفرصة وبخل الشقة وأخفى بها الأوراق المالية .

- مستحيل .. إنتي احتفظ دائما بالمفتاح معي .
فهتف "باربيه" :

- إن في الاستطاعة الدخول بلا مفتاح .

وكان "جانيمار" يصغي إلى هذه المحادثة العجيبة بفضول شديد .. وقد تبين فيها طريقة "باربيه" الخالدة .. طريقة تمثيل الجريمة أو إحدى نواحيها أمام الشخص الذي يظن أنه الفاعل .. ثم قال :

- في استطاعتنا أن نتفاهم في هدوء .. أنت تقول يا "باربيه" : إن الأوراق المالية المسروقة قد أخفيت في شقة مسيو "نوتري" .
- نعم ..

- إذا صح هذا .. وجب أن تكون الأوراق لا تزال في مخبئها لأن "جاك أوبريو" قد القي القبض عليه في صباح اليوم التالي للجريمة فلم يجد فسحة من الوقت لاسترداد الغنيمة . هذا رأيي .

وهنا لم يتمالك "جاستون نوتري" من أن يضحك وقال في تهكم :
- هذا غريب حقا إذ لو صح لكنت عثرت على الأوراق المالية في شقتي ..

فسأله "باربيه" :

- هل بحثت عنها في شقتك ؟

فاجاب الشاب :

- لا .. ولكن كان في استطاعتي أن اعثر عليها في أي وقت .. لأن الشقة ضيقة ويستطيع الإنسان بنظرة واحدة أن يحيط بكل محتوياتها .

- مهما كانت مساحة الشقة فإن في الإمكان إخفاء ستين ورقة مالية في أحد أركانها . وهنا قال "جانيمار" :

- مدام "باربيه" يزعم أن الأوراق أخفيت في شقتك فإن أبسط وسيلة للتحقق من صحة هذا الزعم أو خطئه هي أن نفتش الشقة ..

اليس كذلك ؟

فهتف الشاب :

- بلى .. بلى .. هذه حقا أبسط وسيلة . هلما بنا .

وصعد ثلاثتهم السلم حتى الطابق الخامس . وهناك فتح "دوتري" باب الشقة بمفتاح كان معه .

كانت الشقة مكونة من غرفتين .. قد وضعت قطع الاثاث فيهما وضعا يشهد بسلامة الذوق .

وبدا "باربيه" هو و"جانيمار" عملية التفتيش . وكان الاول كلما حرك شيئا من موضعه احتج الشاب وأسرع إلى الشيء فاعاده إلى مكانه .. واخيرا برم بعث "باربيه" بامتعته واثائه فقصد إلى النافذة وفتحها واطل منها كأنه لا يطيق أن يرى مثل ذلك العبث بأشياءه التي يحلها من نفسه محلا مقدسا .

نظر "جانيمار" إلى "باربيه" وساله :

- هل انت واثق ؟؟

- نعم . نعم .. انا واثق كل الوثوق بان الأوراق المالية قد جيء بها إلى هنا بعد الجريمة . لنبحث إذن .. ولكن ..

ونظر "باربيه" نظرة خاصة .. فابتسم هذا وقال :

- كن مطمئنا .. المسألة في هذه القضية مسألة حياة أو موت . فلم يفهم "جانيمار" غرضه .. ولكنه استأنف التفتيش .

ولم يطل بهما الأمر لأن الشقة كانت صغيرة وقد فرغا من تفتيشها تفتيشا دقيقا في أقل من نصف الساعة .

واخيرا قال "جانيمار" :

- لا يوجد شيء .. فهل نعيد تفتيش الشقة ؟

فاجاب "باربيه" :

- لا . إن الأوراق المالية ليست هنا الآن .

- ماذا تعني ؟

- أعني أنها نقلت من هنا .

- ومن الذي نقلها ؟ أرجو أن تحدد الاتهام .

فلم يجب "باربيه" .. ونظر إليه "دوتري" شزرا ثم قال بحدة :

- اصغ إلي يا سيدي المفتش . ساوفر على هذا السيد مئونة تحديد الاتهام.

لقد انركت من كلام مسيو "باربيه" واعماله أن رجلا غير شريف هنا .
وان الأوراق المالية التي أخفاها القاتل هنا قد اكتشفها . اليس هذا ما
تبار إلى نهنك يا سيدي ؟ الست تعتقد أنني سارق الأوراق المالية ؟
ولم يسفر البحث عن شيء .

وهنا ظهرت على وجه "جانيمار" علامات الضجر والقلق . ونظر إلى
"باربيه" متسائلا فقال هذا :

- مامت تريد قولاً صريحا مؤيدا بالأدلة والبراهين .. فإنني اترك
لدام "أوبريو" زوجة المحكوم عليه بالإعدام أن تقدم لنا الأدلة
المطلوبة..

إن في بيتها جهازا للتليفون ، اليس كذلك ؟ هلما بنا إذن إلى المطعم.
سنقطع الشك باليقين بعد دقيقة واحدة .

فهز الشاب كتفيه وقال :

- على رسلك ، ولكني واثق بأنك تضيع وقتك هباء .

هبطوا السلم ، ودخلوا المطعم فوجدوه خلوا من الزبائن وبحث
"باربيه" في دفتر التليفون عن رقم تليفون مدام "أوبريو" وتناول
السماعة .

أجابته الخادمة بان مدام "أوبريو" قد أصابته نوبة عصبية وأغمي
عليها وأنها الآن طريحة الفراش . فقال لها :

- إذن دعيني أحدث إلى والدتها ، أنا "جان باربيه" المحامي .

وكان جهاز التليفون في المطعم ذا سماعتين ، فقدم السماعة الثانية
إلى "جانيمار" وقال له :

- اصغ إلى حديثنا جيدا .. ولا تنطق بكلمة ..

ثم هتف في جهاز التليفون :

- أهذه أنت يا سيدتي ؟

- نعم .. هل أنت مسيو "باربيه" ؟

ثم اضطربت على الفور بلهجة الضراعة :

- هل من جديد يا سيدي ؟ هل يوجد ثمة أمل ؟ تكلم بالله يا سيدي.

فاجابها "باربيه" :

- إن التحقيق الذي اقوم به يتقدم تقدما محسوسا فلا تياسي . لقد اتصلت بك الآن للوقوف منك على بعض معلومات على جانب عظيم من الخطورة والاهمية .. وارجو ان تجيبي عن اسئلتي بدقة وصراحة .. هل جاء مسيو "جاستون دوتري" إلى بيتكم في يوم ارتكاب الجريمة؟ - نعم .. جاء بعد ان تناولنا طعام الغداء . - وهل علم وقتلذ بان مسيو "جيرار" قد قبض مبلغ الستين الف فرنك؟

- نعم ، إنني انباته بذلك بنفسي .. - وهل علم وقتلذ كذلك بان "جاك اوبريو" متعب وليس في نيته ان يتنزه بالموتوسيكل كالعادة .. وانه سيقضي بقية النهار في فراشه ؟ - نعم .

- هل أنت واثقة بذلك يا سيديتي ؟ - كل الوثوق . - وهل ذهب ثلاثكم أنت وابنتك ومسيو "دوتري" إلى دار للسينما بعد ذلك؟

- نعم . - وهل جلستم معا في صالة السينما ؟ - اه .. لا .. لم نجد مقاعد خالية .. فجلس مسيو "دوتري" على مبعدة منا .

- وهل كان جلوسه في مكان تستطيعان ان ترياه فيه ؟ - لا .. - وهل رايتماه في اثناء الاستراحة بين عرض الافلام ؟ - لا ، لم نره بعد ذلك إلا عند الانصراف . - شكرا لك شكرا لك يا سيديتي ، ساحضر إليك بعد ساعة لانهي إليك نتيجة عملي .

ثم وضع السماعة وتحول إلى "دوتري" وقال له وهو يضحك : - ما رايك الآن ايها الشاب .. لقد تغير الموقف تغيرا محسوسا . فنظر "جانيمار" إلى "باربيه" في دهشة لانه لم يفهم النتيجة التي خرج

بها من هذا الحديث التليفوني وساد صمت عميق ..

وأخيرا التفت "باربيه" إلى "جانيمار" وقال له :

- أرجو أن تامر صاحب المطعم بإغلاق الباب .. وبالا يدع احدا يزعجنا مهما كانت الظروف .

فصعد "جانيمار" بالأمر .. ولما عاد وجد "باربيه" يسير في المكان جيلة ونهابا وأخيرا وقف أمام "نوتري" وقال بلهجة تنم عن السخرية :
- صفوة القول يا سيدي العزيز أن مدام "أوبريو" ووالدتها لم ترياك في المدة بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة بعد ظهر يوم الأحد الذي ارتكبت فيه الجريمة .. هذه في الواقع حقيقة عجيبة ..
فاجاب "نوتري" :

- بل إنها طبيعية للغاية .. ولا تثبت شيئا .

- بل تثبت أنك استمتعت بحريتك ساعتين كاملتين ..

- بالتأكيد . وقد قضيت هاتين الساعتين في السينما .

- أو في مكان آخر .

فنظر إليه "نوتري" بحدة وقال :

- أو في مكان آخر ؟

- نعم . لأنك كنت حرا كما قلت لك وكان في استطاعتك أن تذهب

للنزهة في أي مكان .. في "سورسن" مثلا .

- أه .. "سورسن" .. ولكن "سورسن" بعيدة .

- بل إنها قريبة جدا .. ألم يكن معك موتوسيكل صديقك "جاك

"أوبريو" ؟

ساد الصمت مرة أخرى ، وراى "جانيمار" اهداب الفتى تتحرك

بسرعة وكأنه يحاول أن يفهم ، وأخيرا هتف الشاب بصوت اجش :

- أه .. فهمت ماذا تعني ، يا لك من تعس .

فالقى "باربيه" بيده على كتف "نوتري" وقال :

- كفى ثرثرة ، لقد كنت أنت يا "نوتري" الشخص الوحيد الذي عرف

في ذلك اليوم امرين مهمين ، أولهما أن مسيو "جيرار" يملك في بيته

ستين ألفا من الفرنكات وثانيهما أن "أوبريو" قد عدل عن الخروج

بالموتوسيكل كما اعتاد أن يخرج . عرفت إذن هاتين الحقيقتين ،

ووضعت خطتك في الحال وكان الموتوسيكل في متناول يدك .. فتسللت من دار السينما في اثناء عرض الافلام وانطلقت إلى "سورسن" وقتلت مسيو "جيرار" واستوليت على الأوراق المالية .. وجلت بها إلى شقتك . وفي الساعة الخامسة لحقت بالسيدتين في دار السينما . وقد أصغى "نوتري" إلى كلام غريمه بمزيج من الدهشة والفرع . وراح ينظر إلى "جانيمار" بين الفينة والفينة كأنه يستشهد به وفجأة هتف:

- هذا الرجل مجنون يا سيدي المفتش ! . أنت تضيع وقتك في الإصغاء إلى هذيانه ثم استغرق في الضحك وقال:
- ما أعجب هذا ! . إذن فانا الذي راه الجيران يروح ويغدو بالموتوسيكل؟

- نعم انت .. لأنك كنت متنكرا في ثياب "أوبريو" .
- وانا الذي وجدت بصمات اصابعه على زجاجة الشراب في مكتب مسيو "جيرار" ؟
فقال "باربيه" :

- لقد كانت زجاجة الشراب على مائدة "أوبريو" في بيته وكان قد تناول بعض محتوياتها في اثناء الغداء فحملتها أنت معك إلى بيت "جيرار" لتكون دليلا جديدا ضد "أوبريو" البريء .
فنظر "نوتري" إلى وجه محدثه كمن يستمتع بسماع قصة مسلية وقال :

- انت تنتقل من عجيب إلى اعجب . انت تعني إذن انني ببرت كل هذا للإيقاع بـ "جاك أوبريو" واتهامه بالجريمة ؟
- لقد كانت تلك اضمن وسيلة لإبعاد التهمة عن نفسك .
- نعم ! ولكن "جاك" كان صديقي منذ عهد الطفولة .
- انت تحب زوجته .
فوثب الشاب من مكانه وصاح وقد استولى عليه الغضب :
- اتجسر على .. هذه قحة .
- إن عندي الدليل .
- كذبت .. فإنني لم اشعر قط نحو مدام "أوبريو" بغير الاحترام ..

والإجلال.

- هذا في الظاهر . ولكنك في الواقع تحبها ، وتريدها لنفسك لا تحاول الإنكار فإن عندي الدليل كما قلت لك .

- كذبت ! . فانت لم تكن تعرفني قبل ساعة .

- إنك مخطئ فلقد كنت أتعقبك منذ أيام واتحين الفرصة للإيقاع بك واقتناصك .

ثم أمسك بكشف الشاب . وهزه بعنف وصاح :

- اعترف يا 'دوتري' ، اعترف ، قلت لك : إن عندي البراهين الكافية على جرمك ، وعندي شهود سادعوهم لإدانتك ! اعترف وقل : إن ضميرك يؤنبك على ارتكاب جريمتين في وقت واحد . تذكر ما استولى عليك من الجزع وانت في المطعم ظهر اليوم عندما قرأت في الصحف نبا إعدام صديقك . إنك لم تكن تريد له الإعدام . كان يكفيك أن يحكم عليه بالاشغال الشاقة اما إعدامه ، وإعدامه غدا ، وهو البريء الذي لم يرتكب إثما ، فذلك مالم تكن تتوقعه ، اعترف إذن .. اعترف لتنجو برأسك .

كان 'باربيه' يتكلم بحدة ، وهو منحن أمام الشاب ، كأنه يريد أن ينتزع منه الاعتراف انتزاعا ..

غير أن الشاب نظر إليه ببرود واحتقار وقال بصوت هادئ :

- أنت مجنون يا هذا ، وليس في هذيانك كلمة واحدة تنطبق على الحقيقة ..

فهن 'باربيه' قبضته في وجه الشاب بغضب وصاح :

- ألا تريد أن تعترف .. صبرا إذن .

ثم انتحى بـ 'جانيمار' ناحية وقال له في همس :

- ما قولك في هذا التعس ؟ إنه مجرم ثابت الجاش .

فهن 'جانيمار' رأسه وأجاب :

- ربما .. ولكننا لا نملك حتى الآن ما يجيز لنا اتهامه .. هل انت واثق بأنه الذي ارتكب الجريمة ؟

- لا يمكن أن يكون مرتكبها احدا سواه .. وقد لاحظت ازدياد قلقه كلما اقتربت منه الشكوك .

- وهل كان يحب مدام "أويريو" حقا ؟
- هذا أمر منطقي .. ولكنه كان مجرد افتراض .. أه .. لو استطيع
العثور على الأوراق المالية فقط ، ولكن صبرا .. ما هذا ؟
وسمع الرجلان فجأة جلبة غير عادية ، ثم فتح الباب ودخل صاحب
المطعم وهو يصيح :

- مسيو "دوتري" .. الا يزال مسيو "دوتري" هنا ؟ أه .. مسيو
"دوتري" إن النار قد شبت في شقتك .. لقد رأها أحد المارة وانبأنا ..
فلمعت عينا الشاب بسرعة .. وارتسمت على شفثيه شبه ابتسامة ..
ولم تستغرق هذه الابتسامة أكثر من ثانية واحدة .. ولكن "باربيه"
لاحظها ، وادرك معناها .

صاح في غضب :
- تبا لك أيها الشقي .. لقد فضحت نفسك .. إنك انت الذي اشعلت
النار في شقتك .. وها هي ذي الأوراق المالية تحترق الآن .
ووثب الفتى من مكانه ليصعد إلى شقته غير أن "باربيه" وقف في
طريقه ومنعه من الخروج .
صاح "دوتري" :

- دعني أيها المعتوه ، إن النار تلتهم بيتي ولا يوجد من يستطيع
الدخول لأن المفتاح معي . خذ هذا المفتاح . دعني أمر . فانتزع "باربيه"
المفتاح من يده وقال :

- لا تتحرك من هنا أيها العزيز . لقد ربحنا الشوط .
ثم أخرج من جيبه مسدسا وضعه في يد صاحب الحانة وهو يقول :
- ابق في حراسة هذا الرجل وحذار أن يفلت منك وإذا حاول الفرار
فاطلق عليه الرصاص . هلم معي يا "جانيمار" .

صعد "باربيه" و"جانيمار" السلم على عجل وقال الثاني ممتعضا :
- يستحيل أن يكون هو الذي أشعل النار في شقته لأنه قضى الوقت
معنا ولم ينتقل من مكانه .

- إنه أشعل النار في الشقة سلفا .

- كيف ذلك .. كيف ؟

- لا أعلم . ولكن ليس من الطبيعي أن تشتعل النار بلا مبرر في ذات

الوقت الذي يخشى فيه الإنسان ضبط أوراق تدينه ..
وسمعا ضجة شديدة في الطابق الخامس .

كان خدم الشقة يحاولون تحطيم باب الشقة فلما اقترب "باربيه"
و"جانيمار" من ذلك الباب امتلا انفاهما برائحة حادة وصاح "باربيه"
بالخدم :

- افسحوا السبيل .

ووضع المفتاح في قفل الباب واداره . ففتح الباب .. وانفجرت منه
سحب كثيفة من الدخان ، حتى خيل للقوم ان الشقة نُهبت طعمة
للنيران .

بيد ان "باربيه" لاحظ في الحال ان النار قد خبت من تلقاء نفسها إذ
لم تجد ما تلتهمه ، وقال محدثا "جانيمار" :

- مر هؤلاء الناس بالا يدخلوا ، فإن اى عبث قد يذهب باثر الادلة ،
والافضل ان تغلق الباب .

دخل "باربيه" الشقة أولا ، واهتدى في الحال إلى المكان الذي انحصر
فيه الحريق .

كانت تعلو الجدران وقطع الاثاث طبقة سوداء من تاثير الدخان ..
ولكن شيئا منها لم تصل إليه النار .

والواقع ان النار لم تلتهم غير كومة من الورق امام النافذة وقد
احالتها كلها إلى رماد .

ضرب "باربيه" جبهته بيده وهتف :

- ياإلهي .. ما اشد غباوتي .. ما اشد غباوتي ..
- ماذا ؟

- علبة الورق التي يضع فيها الشقي قبعته بقصد صيانتها من
الغبار .. في هذه العلبة كان يخفي الأوراق المالية .. وكانت الأوراق
المالية فيها عندما فتشنا الشقة .

- مستحيل ..

- بل ذلك هو الواقع ، إن الإنسان يغفل دائما عن تفتيش هذا المخبا
الذي هو اظهر المخابى واقربها إلى الأيدي .

- والواقع .. من ذا الذي يتصور ان يترك اللص ستين ألفا من

الفرنكات في علبة من الورق ظاهرة للعيان ؟

- إن حيلته جديرة بالإعجاب . فقد وضع قبعته في العلبة عندما دخل فاخفى تحتها غنيمته .. ثم تناول القبعة عند انصرافنا فلم نلاحظ شيئا .

فظهرت على وجه "جانيمار" علامات الارتياح وغمغم قائلا :

- لا .. مستحيل .. لقد كنا معه هنا وفي المطعم .. ولا يمكن أن يكون هو الذي أشعل النار ..

- إنه أعد كل شيء استعدادا للطوارئ .. ولابد أن يكون قد بلل العلبة والأوراق المالية بمادة ملتهبة .. فلما انصرف معنا .. القى على العلبة عود ثقاب.. أو مادة كيميائية لا أبري ما هي فحدث الحريق . فقال "جانيمار" :

- لو أنه فعل ذلك لرايناه .. وبعد .. فليس من المعقول أن يرتكب جريمة قتل ليسرق ستين ألف فرنك ثم يبيد الأوراق المالية بهذه الصورة . وما دام قد نجح في إخفاء الغنيمة بحيث لم تعثر عليها ، فما الذي يحمله على التخلص منها بلا مبرر ؟

- إنه كان خائفا يا "جانيمار" ، ولا تنس أن المسألة بالنسبة إليه مسألة موت أو حياة . إنه يضحي بكل شيء لينقذ رأسه من المقتلة .. وقد كانت هذه الأوراق المالية هي الدليل الوحيد الذي يثبت جريمته فكيف لا يبيد هذا الدليل ؟

فدهش "جانيمار" وسأل :

- كيف تقول إنها الدليل الوحيد ؟

- بالتأكيد ، إنها الدليل الوحيد .

- والشهود الذين تكلمت عنهم ، والأدلة التي كنت تلوح بها ؟

- كل هذه لا وجود لها ..

فعض "جانيمار" على شفتيه وغمغم :

- يا إلهي ما أشد جراتك !

- إذا فانتك الأدلة للإيقاع بالمجرم ، فإن الجرأة والتفكير السليم

يقومان مقام الأدلة .

قال ذلك وراح يفحص ما تخلف عن الحريق ، ثم غمغم :

- لا شيء غير الرماد .. ولكن كيف استطاع هذا الشيطان ان يشعل النار في هذه العلبة ؟

واخذ يسير في الغرفة جيئة ونهابا .. وشعر "جانيمار" بان هذا الرجل الداهية غريب الاطوار يعصر ذهنه .. ويبذل جهود الجبابة لكي ينفذ ببصيرته إلى ما وراء الحجب ..
ساله بشيء من السخرية :

- هل انهارت خطتك يا صاح ؟

- لا .. لم افقد كل امل . لقد شعرت بالياس منذ لحظة اما الآن .. ولعلت عيناه .. واخذ يبحث في انحاء الغرفة .. حتى وجد علبة من الورق شبيهة بتلك التي احترقت .. فوضعها فوق الرماد واشعل فيها النار حتى احترق نصفها تقريبا . ثم اخرج من جيبه بعض الاوراق المالية .. واشعل فيها النار كذلك حتى التهمت اوراقها .
نظر بعدئذ إلى "جانيمار" وثم قال وهو يبتسم :

- انني الآن بحاجة إلى معونتك يا "جانيمار" وكل ما اطلبه منك الآن هو ان تذهب إلى "بوتري" وتقول له هذه الكلمات لقد افتضح امرك يا صاح والاوراق المالية لم تحترق كلها .. فاتبعني واحضره إلى هنا .
فتردد "جانيمار" لحظة .

ادرك طرفا من حيلة "باربيه" . ولم يطوع له ضميره ان يشترك معه في إنفانها .. لأنها تقوم على التهويش والجل فهي في نظره حيلة غير مشروعة ..

تحول إلى "باربيه" . ونظر إليه كمن يريد ان يقول له :

- الا تكف عن العمل بهذه الأساليب ؟

وفهم "باربيه" معنى نظرتة . وادرك سبب ترده . فابتسم وقال له :
- لا تنس يا "جانيمار" ان المسالة مسألة حياة او موت .. وان هناك بريئا سيعدم غدا صباحا .. وإذا لم نتمكن هذه الساعة من اقتناص المجرم الحقيقي ... الم اقل لك مرارا انني لا ابغي قط غير إحقاق الحق .. ومساعدة الأبرياء وتمكين العدالة من وضع يدها على المذنبين ؟
فتنهذ "جانيمار" . وانصرف نزولا على إرادة "باربيه" .

اما هذا الأخير . فإنه لم يكد يخلو إلى نفسه .. حتى جلس على أحد

المقاعد واجال بصره حوله في نظرة احاط فيها بكل محتويات الغرفة واستقرت عيناه اخيرا على بقعة من الضوء في حجم قطعة النقود كانت تارة تبدو على ارض الغرفة واضحة ساطعة وتلاشى تارة اخرى كلما حجبت السحب قرص الشمس .

حملق "باربيه" طويلا إلى هذه البقعة ، وقطب حاجبيه .. وفكر لحظة.. ثم انبسطت اسارير وجهه فجأة وقال :
- ياله من داهية .

وفي هذه اللحظة .. عاد "جانيمار" و"برفقتة" "دوتري" . فنهض "باربيه" من مكانه . وسار إلى الشاب . وامسك بساعده ونظر في وجهه طويلا ثم انفجر ضاحكا . وقال :

- مرحى يا فتى . إنك ابرع مما كنت اظن ففكرة العلبة وإناء الماء وقرص الشمس لا تخظر إلا ببال الشيطان .
فغمغم "دوتري" في شيء من الاضطراب :
- بماذا تهذي يا هذا ؟

فقال "باربيه" بلهجة جادة :

- اصغ إلي يا فتى .. إن النار لم تلتهم غير جزء من العلبة .. والتهمت الأوراق المالية إلا اطراف عدد قليل منها . هل فهمت ؟ الأوراق المالية المسروقة؟ الأوراق المالية التي هي اهم دلائل الجريمة . إن اطراف بعضها لم تلتهمها النيران .. وها هي ذي وارقامها لا تزال ظاهرة .. خذ وانظر .. إنك ضعت يا صيقي العزيز . ومن العبث أن تكابر أو تنكر .

فامتقع وجه الفتى ودارت عيناه في محجريهما بقلق وذعر واطرق براسه ولم يجب .

لم يفحص العلبة .. ولم يفحص الأوراق المالية .
كانت المفاجأة اعظم مما توقع .. فاضطرب ذهنه . ولم يسعفه بجواب .

شعر بأن غريمه قد تغلغل في اعماق نفسه .. وفضح سرا كان يعتقد انه بمامن من الافتضاح .

كان صمته وإطراقه بمثابة الاعتراف .

بيد أن "باربيه" لم يترك له فرصة للتفكير والاستعداد بل استأنف هجمته العنيفة وراح يقول :

- لا يزال في استطاعتك أن تنقذ رأسك من المقصلة أيها التعس ووسيلتك الوحيدة لذلك هي أن تعترف كتابة وتزعم أنك تكتب الاعتراف تحت تأثير وخز الضمير.. وسوف يضع رجال العدالة ندمك موضع الاعتبار خصوصا أنه جاء في الوقت المناسب لإنقاذ بريء من الإعدام .. إليك القلم .. والورق .. فاكتب اعترافك .. إنك كنت في الحق سيء الحظ يا فتى رغم أن حيلتك الأخيرة كانت مدبرة اعجب تدبير .. اليس كذلك ؟

كانت الأوراق المالية عندك .. وكنت تعلم أنها أهم دليل ضدك .. فلما رأيت الريب والشكوك تحوم حولك خطر لك في الحال أن تتخلص من هذه الأوراق.. فماذا تفعل ؟

ليس أسهل من الالتجاء إلى حيلة لأبد أنك جربتها مرارا استعدادا للطوارئ ولأبد أنك أيقنت صلاحيتها فوضعت على حافة النافذة إناء ماء مستديرا.. مصنوعا من البللور السميكة .. فسقطت أشعة الشمس من النافذة على الإناء .. وأصبح الإناء عندئذ بمثابة عدسة تجمع أشعة الشمس في بقعة واحدة .

وقد دبرت كل شيء سلفا بحيث تسقط هذه البقعة على علبة الورق . وقد كان ذلك هو السر في غضبك واحتجاجك عندما كنت أنقل أي شيء من موضعه في أثناء التفتيش .

تركزت إذن بقعة الأشعة على جدار العلبة .. وهو جدار مصنوع من الورق ومغطى بطبقة رقيقة من الحرير .

ولم تكد تنقضي بضع دقائق حتى التهمت طبقة الحرير بحرارة بقعة الأشعة فاحترقت واحترق معها نصف العلبة ، وبعض الأوراق المالية ولولا أننا جئنا في الوقت المناسب لتلاشى كل دليل لجريمتك .

حيلة بديعة رائعة . يجب أن أهنتك عليها .

والآن .. إليك القلم والورقة .

دفن "دوتري" وجهه بين كفيه . ورأى "جانيمار" دموع الياس تنحدر من بين أصابعه فنظر إلى "باربيه" نظرة من يقول : "يا لك من شيطان" .

بيد ان 'باربيه' كان يريد ان ينفذ يده باسرع ما يمكن .. فانحنى فوق 'نوتري' وقال :

- اكتب ولا تضع آخر فرصة للنجاة من الإعدام . إن الأدلة ساطعة ساحقة . ولم يعد في مقدورك الخلاص من تبعة الجريمة .

فتناول الفتى القلم ، وكتب ما أملاه عليه 'باربيه' . وطوى 'باربيه' وثيقة الاعتراف . ودفعها إلى 'جانيمار' وهو يقول :

- هو ذا قاتل 'جاك أوبريو' . وها هو ذا اعترفه .

فغمغم 'جانيمار' :

- هذه هي أول مرة تعمل فيها لوجه الحق .

فقال 'باربيه' وهو يبتسم :

- بل قل إنها أول مرة أخرج فيها خاسرا . فلقد ضحيت ببعض الأوراق المالية لأحصل على اعتراف هذا التعس ..

(تمت بحمد الله)